سلسلة مؤلفات أبي عبد الرحمن نور الدين الحبيشي «٢٣»

# أمراض القلوب وعلاجها

تأليف أبي عبد الرحمن

نور الدين بن أحمد بن قايد الحبيشي


تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

فضيلة الشيخ

أبي اليمان عدنان المصقري

# أمراض القلوب وعلاجها

# حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ



اسم الكتاب: «أمراض القلوب وعلاجها»

المؤلف: أبو عبد الرحمن نورالديُن بن أحمد بن قايد الحبيشي

مقاسات الكتاب: (٢٤×١٧).

رقم الإيداع: (  /  ١٤٤٧هـ )

تاريخ التنسيق: ١٤٤٧هـ

الطبعة: (الأولى)

دار الإمام الشافعي عدن - اليمن

سلسلة مؤلفات أبي عبد الرحمن نورالدين الحبيشي(٢٣)

# أمراض القلوب وعلاجها

تأليف

أبي عبد الرحمن

نورالدين بن أحمد قايد الحبيشي

## تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

بسم الله الرحمن الرحيم

## ما أحسن ما قيل في فضلِ تأليفِ الكُتُبُ:

وما من كاتبٍ إلّا سيفنى *** ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفّك غير شيء *** يسرّك في القيامة أن تراه

أجلّ ما كسبت يد الفتى قلم *** وخير ما جمعت يداه الكتب

**وما أحسن ما قيل:**

أموت ويبقى كل ما قد كتبته *** فيا ليت من يقرأ كتابي دعا ليا

لعل الإله يمن بلطفه *** ويرحم تقصيري وسوء فعاليا

**وما أحسن ما قيل:**

ولي يومٌ سأرحل دون ريبٍ *** فهلاً ما نشرتُ نشرتموه

لعل الله يجزينا بخيرٍ *** وما من سيءٍ عنّي ادفنوه

**قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أحياءُ). اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٤).

**وقال الإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إني لأفرح بالكتاب حين يخرج أعظم من فرحي بالولد). اهـ

**وقال المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **سمعت البويطي** يقول: **قلت للشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (إنك تتغنى في تأليف الكتب وتصنيفها والناس لا يلتفتون عليك ولا إلى تصنيفك فقال لي إن هذا هو الحق والحق لا يضيع). اهـ من "تاريخ دمشق" (٥١/ ٣٦٥).

# مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:** فقد وقفتُ على الرسالة المباركة الموسومة بـ «**أمراض القلوب وعلاجها**»، **لمؤلفها الطالب الهمام: نور الدين الحبيشي**، فوجدتُها رسالةً نافعةً، متينةَ السبك، حسنةَ الترتيب، رشيقةَ الأسلوب، جمعت بين حسن الانتقاء وجودة العرض، ودلت على عناية مؤلفها بهذا الباب الجليل الذي عليه مدارُ صلاح العبد ونجاته في الدنيا والآخرة.

وقد أحسن مؤلفها في جمع الفوائد وترتيبها، فكان يتنقّل بينها تنقُّل النحل بين رياض الأزهار، لا يلتقط إلا أطيبها، ثم يهدي إلى قارئه بعسلٍ مصفًّى من نفائس العلم، يجمع بين حلاوة العبارة وغزارة الفائدة.

فأسأل الله تعالى أن يبارك في مؤلفها، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفع بها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، مباركةً في أثرها، واسعةَ القبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**كتبه:**

**فيصل الحاشدي**

٢٥ذو الحجة ١٤٤٧هـ

❊❊❊

# مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**أما بعد: فإن من أعظم ما اشتغل به العلماء وربّى عليه السالكون، تزكية النفس وصلاح القلب، إذ هو ملك الجوارح ومدبرها، فإذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد، وقد كثرت في زماننا أمراض القلوب من قسوة وغفلة وحب للدنيا، وقلّ من يلتفت إلى دوائها.**

وقد تصفحتُ هذه الرسالة المباركة التي اعتنى فيها أخونا في الله، الداعي إلى الله: **أبي عبد الرحمن نور الدين الحبيشي** بمعالجة أمراض القلوب

وقسوتها، وبيان أسبابها وعلاماتها، وما يصلحها من الأعمال والأحوال القلبية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وسير السلف الصالح.

فوجدتها رسالةً نافعة، جامعةً بين الأصالة والبيان الواضح، جمع فيها المؤلف بين العلم والوعظ، وبين التشخيص والعلاج، فصارت صالحةً لعموم الناس، نافعةً لطالب العلم والداعية والمربي.

وإنني إذ أقدّم لهذه الرسالة، لأوصي نفسي وإخواني بقراءتها وتدبرها والعمل بما فيها، وأراها صالحة للنشر والتدريس، لما فيها من التذكير الذي تُحيى به القلوب وتُقوّم به النفوس.

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذه الرسالة، وأن يبارك في جهد كاتبها، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يجعلها في ميزان حسناته يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

والله الموفق إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

**وكتب:**

**أبو اليمان عدنان بن حسين المصقري**

٢٠ ذو الحجة ١٤٤٧ هـ

# مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، سبحانه ما عبدناه حق عبادته، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، جل في علاه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]

ولقد ذكر الله القلب في عشرين موضعًا في القرآن الكريم؛ مما يعطي القلب أهمية عظمى؛ لأنه أهم عضو من أعضاء الإنسان الذي يوجب علينا العناية به

عناية مستمرة، ودلَّ على ذلك الحديث الذي في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْب وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**. إن القلب بصلاحه تصلح الجوارح وتستقيم على سبيل الهدي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧): (**القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب**، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب**» (أخرجه البخاري ومسلم) وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده، وقول أبي هريرة تقريب وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحسن بيانًا، فإن الملك وإن كان صالحًا، فالجند لهم

اختيار قد يعصون ملكهم وبالعكس، فيكون فيهم صلاح مع فساده، أو فساد مع صلاحه، بخلاف القلب فإن الجسد تابع له، لا يخرج عن إرادته قط.

فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا لزم ضرورة صلاح بالجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل.

قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد.

وبهذا كان الأصل في التقوى والفجور القلب قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، ولو كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**» (رواه مسلم).

وقال الحافظ ابن رجب في شرحه لهذا الحديث: (وفي هذا دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا بر القلب واتقى، برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التقوى ها هنا» وأشار إلى صدره (رواه مسلم) (جامع العلوم والحكم).

ومن الناس من يجد في إقامة جوارحه على طاعة الله، وكفها عما حرم الله جهدًا وثقلاً، حتى إن بعضهم تحدثه نفسه بالاستقامة، لكن ما إن يسلك طريقها حتى يرجع القهقري.

ولو أتى هؤلاء البيوت من أبوابها، واجتهدوا مع العمل الظاهر في إصلاح قلوبهم، لهان عليهم سلوك سبيل الاستقامة، بل لوجدوا فيه اللذة والسعادة

إن الإسلام لم يهتم بشيء في الإنسان بقدر ما اهتم بقلبه، فهذه المضغة هي بيت الإيمان وموقع الصدق ومحل الإخلاص، والقلب واللسان أعظم ما في الإنسان وأهم ما فيه، وكل أعمال الإيمان من خوف ورجاء، وتوكل وإنابة، وإخبات ويقين، وصدق ومحبة إنما محلها القلب.

وقبول الأعمال وتفاضلها إنما هو متوقف على ما في القلب من صدق وإخلاص ومعاني الإيمان، فمتى فرغ القلب منها فعند ذلك، لا يفيد عمل، ولا تقبل طاعة، ولا ينتفع عبد بعبادة.

والقلب هو محطُّ نظرِ الرب سبحانه، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: **(إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)**. (رواه مسلم).

وفي سورة الحج قال سبحانه: {لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج:٣٧].

ويوم القيامة لا يدخل الجنة إلا صاحب القلب المنيب، ولا ينجو إلا صاحب القلب السليم، قال جل في علاه: {**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ . مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**} [ق:٣١:٣٣]. وقال على لسان خليله إبراهيم: {**ولا تخزني يوم يبعثون * يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**) [الشعراء:٨٧-٨٩].

والقلب السليم هو القلب الذي سلم توحيده لله من كل شرك، وسلم من كل شبهة تعارض الأمر، وكل شهوة تخالف النهي، وكل هوى يخالف مراد الله تعالى. ولهذا يسعى الشيطان لإفساد هذا القلب، وتفريغه مما ينفعه ويسره، وشغله بما يؤذيه ويضره، ويبذل وسعه لإعطابه وإبعاده عن السلامة التي لا ينجو إلا بها؛ ولهذا وجب صيانته منه ومن نزغاته، والانتباه لسلامة القلب ونقاوته لتتم له السلامة يوم الدين.

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَى خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الصَّافَّاتِ: ٨٣-٨٤]؛ وَقَالَ –

حَاكِيًا عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٨٨-٨٩].

ألا وإن هُنَاكَ أَمْرَاضٌ خَطِيرَةٌ تَمْنَعُ الْقَلْبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا؛ وَمِنْ أَهَمِّهَا:

**الْمَرَضُ الْأَوَّلُ:** الشِّرْكُ: وَهُوَ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى؛ حُبًّا أَوْ رَجَاءً، أَوْ خَوْفًا، أَوْ تَوَكُّلًا، أَوْ خَشْيَةً، أَوْ رَهْبَةً، أَوْ رَغْبَةً! وَأَعْظَمُ طَرِيقٍ لِلْأُنْسِ بِاللهِ تَعَالَى، هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ؛ بِحَيْثُ لَا يَرْجُو الْعَبْدُ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يَدْعُو غَيْرَهُ، وَلَا يَذِلُّ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَيْهِ.

**الْمَرَضُ الثَّانِي:** الْكِبْرُ: وَهُوَ رَدُّ الْحَقِّ، وَاحْتِقَارُ النَّاسِ!

**الْمَرَضُ الثَّالِثُ:** مَرَضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ: قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (الْقَلْبُ يَعْرِضُ لَهُ مَرَضَانِ يُخْرِجَانِهِ عَنْ صِحَّتِهِ وَاعْتِدَالِهِ: مَرَضُ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَمَرَضُ الشَّهَوَاتِ الْمُرْدِيَةِ؛ فَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالشُّكُوكُ وَالْبِدَعُ، كُلُّهَا مِنْ مَرَضِ الشُّبُهَاتِ، وَالزِّنَا، وَمَحَبَّةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي وَفِعْلِهَا، مِنْ مَرَضِ الشَّهَوَاتِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الْأَحْزَابِ: ٣٢]؛ وَهِيَ شَهْوَةُ الزِّنَا، وَالْمُعَافَى مَنْ عُوفِيَ مِنْ هَذَيْنِ الْمَرَضَيْنِ، فَحَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ، وَالصَّبْرُ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؛ فَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ).

**الْمَرَضُ الرَّابِعُ:** الْحِقْدُ: وَهُوَ أَنْ يُبْغِضَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ؛ بِسَبَبِ شَحْنَاءَ، وَعَدَاوَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ بَيْنَهُمَا! وَصَاحِبُ الْحِقْدِ وَالْغِلِّ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ، لَا يَذُوقُ مَعَهُ طَعْمَ السَّعَادَةِ وَالْإِيمَانِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ زَوَالَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ؛ لِمَا يُسَبِّبُهُ مِنَ النَّكَدِ، وَالْغَمِّ، وَالْقَلَقِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْعَذَابِ.

**الْمَرَضُ الْخَامِسُ:** الْحَسَدُ: وَهُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةٍ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَلَرُبَّمَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ سَعْيٌ فِي إِزَالَتِهَا! قَالَ شيخ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ كما في مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٤): (الْحَسَدُ فِيهِ بُخْلٌ وَظُلْمٌ؛ فَإِنَّهُ بُخْلٌ بِمَا أُعْطِيَهُ غَيْرُهُ، وَظُلْمُهُ بِطَلَبِ زَوَالِ ذَلِكَ عَنْهُ). وَأَعْظَمُ مَا يُزِيلُ الْحَسَدَ؛ هُوَ الْإِيمَانُ التَّامُّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ،

فالحَسدُ من أعظمِ أمراضِ القلوب، وأشدِّها فتكًا بصاحبِه؛ إذ يُورِثُ ضيقَ الصَّدرِ، والهمَّ والحَزنَ، ويُفضي إلى السُّخطِ على أقدارِ اللهِ، ولا يطيبُ قلب الحاسد إلا بزوالِ النِّعمة عن صاحبها.

والمشروع للمسلم إذا رأى ما يُعجِبُه من أخيه أن يَدعو له بالبركة، وأن يسألَ اللهَ من فضلِه.

**الْمَرَضُ السَّادِسُ:** الشُّحُّ: وَهُوَ شِدَّةُ الْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي طَلَبِهِ، وَجَشَعُ النَّفْسِ عَلَيْهِ، وَمَنْعُ إِنْفَاقِهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَحُبُّهُ وَإِمْسَاكُهُ!

وَضِدُّ الشُّحِّ: الْإِيثَارُ: وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْجُودِ؛ وَهُوَ الْإِيثَارُ بِمَحَابِّ النَّفْسِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَذْلُهَا لِلْغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ بَلْ مَعَ الضَّرُورَةِ وَالْخَصَاصَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الْحَشْرِ: ٩].

وَمِنْ أَخْطَرِ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ فِي الْوَقْتِ الْمُعَاصِرِ:

**الْمَرَضُ السَّابِعُ:** حُبُّ الدُّنْيَا: بِالْعَمَلِ لِأَجْلِهَا، وَالْفَرَحِ وَالتَّعَلُّقِ بِهَا! وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا وَأَصْلُهَا،

**الْمَرَضُ الثَّامِنُ:** حُبُّ الرِّئَاسَةِ: هُوَ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ! وَهُوَ حُبُّ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَطَلَبُهَا، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا بِلَا مَصْلَحَةٍ دِينِيَّةٍ! قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللهُ: (حُبُّ الرِّيَاسَةِ أَعْجَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)، وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: (أُصُولُ الشَّرِّ وَفُرُوعُهُ سِتَّةٌ: فَالْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ: "الْحَسَدُ، وَالْحِرْصُ، وَحُبُّ الدُّنْيَا". وَالْفُرُوعُ كَذَلِكَ: "حُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَحُبُّ الثَّنَاءِ، وَحُبُّ الْفَخْرِ").

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ *** وَقَلَّمَا تَجِدُ الرَّاضِينَ بِالْقَسْمِ

**الْمَرَضُ التَّاسِعُ:** حُبُّ الشُّهْرَةِ: وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ آفَاتِ زَمَانِنَا، وَافْتُتِنَ بِسَبَبِهِ الْكَثِيرُونَ؛ بِأَنْ يَسْعَى الْإِنْسَانُ لِشُهْرَةِ نَفْسِهِ، وَانْتِشَارِ ذِكْرِهِ، بِلَا قَصْدٍ صَحِيحٍ مِنْ ذَلِكَ! قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللهُ: (مَا صَدَقَ اللهَ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (عَلَامَةُ الْمُخْلِصِ الَّذِي قَدْ يُحِبُّ شُهْرَةً، وَلَا يَشْعُرُ بِهَا: أَنَّهُ إِذَا عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، لَا يَحْرَدُ وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ، بَلْ يَعْتَرِفُ، وَيَقُولُ: "رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي"، وَلَا يَكُنْ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، لَا يَشْعُرُ بِعُيُوبِهَا؛ بَلْ لَا يَشْعُرُ أَنَّهُ لَا يَشْعُرُ؛ فَإِنَّ هَذَا دَاءٌ مُزْمِنٌ). وأمراض كثيرة كانت سببا في مرض القلب وقسوته وغفلته بل وموته نسأل الله العافية والسلامة.

قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ كما في مجموع فتاواه (١٤/ ١٤٨):

«وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلوب هي المصائب، ولذلك نقول في دعاء القنوت: "ولا تجعل مصيبتنا في ديننا".

وأمراض القلوب تعود إلى شيئين:

١- أمراض الشهوات ومنشؤها الهوى، فإن الإنسان يعرف الحق لكن لا يريده، فله هوى مخالف لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أمراض الشبهات ومنشؤها الجهل، فإن الإنسان الجاهل يفعل الباطل ويظنه حق، وهذا مرض خطير.

فأنت تسأل الله العافية من أمراض الأبدان وأمراض القلوب التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

وعندما نقول أمراض الشهوات فلا تظن أننا نزيد أمراض الشهوة الجنسية – وهي شهوة النكاح – ولكننا نريد كل ما يريده الإنسان مما يخالف الحق، فإنها شهوة – بمعنى: إرادة: اشتهى أن يبتدع في دين الله أو اشتهى أن يحرف نصوص الكتاب والسنة لهواه، أو اشتهى أن يسرق، أو أن يشرب الخمر، أو يزني، وما أشبه ذلك» اهـ

إِنَّ التَّسَاهُلَ فِي إِصْلَاحِ الْقَلْبِ؛ سَيُصِيبُ الْقَلْبَ فِي مَقْتَلٍ: وَرُبَّمَا أَصْبَحَ قَلْبًا خَبِيثًا، جَامِعًا لِكُلِّ شَرٍّ، خَالِيًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَسَتَظْهَرُ عَلَى سُلُوكِهِ هَذِهِ الْأَمْرَاضُ الْخَبِيثَةُ؛ سَوَاءٌ فِي أَقْوَالِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٢٩].

وعلينا أن نستعين بالله في معالجة قلوبنا من كل مرض بتوحيد الله والخوف منه وخشيته والإنابة إليه.

وعلينا أن نعالج قلوبنا بالبعد عن الذنوب والمعاصي، التي هي سبب إماتت القلوب كما قال ابن

عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم يغل في البيع أثمانها

فقد رتع القوم في جيفة يبين لذي اللب خسرانها

وعلينا أن نعالج قلوبنا بالإكثار من ذكر الله الذي به تطمئن القلوب ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : من واظب على " يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت " كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه .

وعلينا أن نعالج قلوبنا بكثرة تلاوة القرآن:

قال ابن_الجوزي – رحمه الله – في كتابه التبصرة (١/ ٧٩) : " «تِلاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْمَلُ فِي أَمْرَاضِ الْفُؤَادِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَسَلُ فِي عِلَلِ الأَجْسَادِ ، مَوَاعِظُ

الْقُرْآنِ لأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ شَافِيَةٌ ، وَأَدِلَّةُ الْقُرْآنِ لِطَلَبِ الْهُدَى كافية ، أين السالكون طريق السلامة والعافية ، مالي أَرَى السُّبُلَ مِنَ الْقَوْمِ عَافِيَةً.»

وعلينا أن نعالج قلوبنا بزيارة القبور وتذكر الموت: وما أحسن ما قيل:

عَجَبًا لِهَذَا القَلْبِ مَا أَقْسَاهُ! لا تَعْجَبُوا فَالرَّانُ قَدْ غَطَّاهُ

قَلْبٌ يُشَبَّهُ فِي القَسَاوَةِ بِالحَصَى وَبِذِكْرِ مَوْتٍ يَسْتَرِدُّ شِفَاهُ

لِلقَبْرِ قَدْ أُمِرَ الفَتَى بِزِيَارَةٍ كَيْمَا تَجُولَ بِفِكْرِهِ أُخْرَاهُ

لَكِنَّنَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا لَمْ نَتَّعِظْ وَالذَّنْبُ قَارَفْنَاهُ

كَمْ مَرَّةٍ زُرْنَا القُبُورَ بِضَحْوَةٍ وَعَشِيَّةٍ، وَلَكَمْ أَخٍ نَنْعَاهُ

نَلِجُ القُبُورَ نَخُوضُ فِي دَارِ الفَنَا فَالمَرْءُ دَوْمًا هَمُّهُ دُنْيَاهُ

لَكَأَنَّنَا فِي مَأْمَنٍ مِنْ رَبِّنَا وَكَأَنَّ غُفْرَانًا لَنَا أَعْطَاهُ

دَاوِمْ عَلَى ذِكْرِ المَمَاتِ، فَإِنَّهُ لِلْقَلْبِ أَعْظَمُ وَاعِظٍ، وَكَفَاهُ

أَتُرِيدُ أَنْ تَحْيَا حَيَاةَ بَهِيمَةٍ؟! كَالبَهْمِ يَمْشِي هَمُّهُ مَرْعَاهُ

وَإِذَا أَمَرْتُكَ بِالمَتَابِ أَجَبْتَنِي: اللهُ لَمْ يُنْزِلْ عَلَيَّ هُدَاهُ

أَوَمَا أَبَانَ لَكَ الطَّرِيقَ كِلَيْهِمَا خَيْرًا وَشَرًّا، حَيْثُ لا أَشْبَاهُ؟!

فَالخَيْرُ قَدْ أَمَرَ الإِلَهُ بِفِعْلِهِ وَأَحَبَّهُ، وَالشَّرُّ لا يَرْضَاهُ

هَلْ أَنْتَ مُجْبَرُ لِلشُّرُورِ بِفِعْلِهَا؟ مَنْ ذَا يَرُدُّكَ إِنْ أَرَدْتَ رِضَاهُ؟

لَكِنَّهُ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ قَوْلَةً فَأَطَعْتَهُ فِي كُلِّ مَا أَلْقَاهُ
أَلْقَى إِلَيْكَ مَقُولَةً مَسْمُومَةً فَقَبِلْتَهَا وَمَشَيْتَ خَلْفَ خُطَاهُ
حَتَّى شَرُفْتَ بِأَنْ ضُمِمْتَ لِحِزْبِهِ فَمُرَادُهُ قَدْ نَالَهُ وَمُنَاهُ
فَإِذَا قُبِرْتَ أَتَيْتَ تَطْلُبُ رَجْعَةً رَبَّاهُ عَوْدًا لِلدُّنَى، رَبَّاهُ
فَيَقُولُ: كَلاَّ، لَنْ تَعُودَ لِجِيفَةٍ قَدْ كُنْتَ تَعْصِي وَالهُدَى تَأْبَاهُ
وَالقَبْرُ فِيهِ مِنَ الأُمُورِ عَظَائِمٌ وَسُؤَالُهُ عَنْ كُلِّ مَا أَمْضَاهُ
إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى وَأَجَابَهُ يُفْسِحْ لَهُ مَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ
فَيَعِيشُ فِي رَوْضِ الجِنَانِ وَحُسْنِهَا وَالفَضْلُ وَالإِنْعَامُ مِنْ مَوْلاهُ
أَوْ كَانَ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا وَتَجَبَّرُوا وَأَضَاعَ زَهْرَةَ عُمْرِهِ وَصِبَاهُ
عِنْدَ السُّؤَالِ فَلا يَحُورُ إِجَابَةً وَيَقُولُ: لا أَدْرِي، فَمَا أَشْقَاهُ
فَيَضِيقُ قَبْرٌ وَالضُّلُوعُ خَوَالِفٌ وَالنَّارُ فِي يَوْمِ اللِّقَا مَأْوَاهُ
حَالٌ نَعُوذُ بِرَبِّنَا مِنْ مِثْلِهَا فَإِلَيْهِ نَلْجَأُ عِنْدَمَا نَخْشَاهُ
وَإِذَا أَرَدْتَ نَجَاةَ هَوْلٍ قَادِمٍ فَاسْمَعْ لِنُصْحِي، وَافْهَمَنْ فَحْوَاهُ
بَادِرْ وَتُبْ فَاللهُ يَغْفِرُ مَا مَضَى فَهُوَ الغَفُورُ وَلا إِلَهَ سِوَاهُ
وَالسَّيِّئَاتُ إِذَا صَدَقْتَ بِتَوْبَةٍ فَمَكَانُهَا حُسْنٌ بِهِ تُجْزَاهُ
عُدْ لِلمُهَيْمِنِ ثُمَّ لُذْ بِجَنَابِهِ وَاسْجُدْ لَهُ حَتْمًا تَفُزْ بِعَطَاهُ

كُنْ مُوقِنًا، وَادْعُ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فَإِلَهُنَا مَا خَابَ مَنْ نَاجَاهُ
وَاللهَ فَاذْكُرْ فِي الصَّبَاحِ وَفِي المَسَا فَبِذِكْرِهِ تَتَعَطَّرُ الأَفْوَاهُ
أَعْظِمْ بِمَنْ حَفِظَ اللِّسَانَ وَصَانَهُ وَبِغَيْبَةٍ لا يَذْكُرَنَّ أَخَاهُ
وَبِمَنْ تَصَدَّقَ خُفْيَةً، فَشِمَالُهُ لَمْ تَنْتَبِهْ مَا أَنْفَقَتْ يُمْنَاهُ
وَكَذَاكَ يُعْجِبُكَ الفَتَى مَنْ حَالُهُ فِي الفَقْرِ صَبْرٌ وَالثَّنَا لِغِنَاهُ
وَإِذَا رَغِبْتَ بِجَمْعِ نُصْحٍ مُوجَزٍ فَجِمَاعُ قَوْلِي فِي التُّقَى فَارْعَاهُ
وَخِتَامُهَا صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الوَرَى مَنْ لِلشَّرِيعَةِ عُمْرَهُ أَفْنَاهُ
فَصَلاتُنَا مَوْصُولَةٌ مَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ بِكَوْنٍ أَرْضِهِ وَسَمَاهُ
وَسَلامُنَا يَغْشَى النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَا طَافَ نَحْلٌ بَاحِثًا لِجَنَاهُ

**هذا وقد قام أخونا الباحث المفيد النشيط الداعي إلى الله: نور الدين بن أحمد بن قايد الحبيشي** نور الله عليه حياته في كتابه هذا الذي بين يديك بعنوان: (**أمراض القلوب وعلاجها**) **ببسط الكلام على أمراض القلوب وعلاجها من الكتاب والسنة وبين فيه حفظه الله تلك الأمراض عافانا الله وسائر المسلمين من ذلك وبين علاجها، وقد دعم كتابه المذكور بأدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وقد قرأت كتابه هذا كاملا فرأيته أجاد فيه وأفاد وحذر فيه من أمراض القلوب ووصف لها الدواء فدونك به.**

وقد ذكر حفظه الله في كتابه هذا فوائد تشد لها الرحال، وإني لأنصح بقراءة هذا الكتاب وطبعه ونشره وتدريسه حتى ينفع الله به العباد والبلاد فلله در أخينا الكريم نور من باحث مفيد وأخ نشيط جزاه الله خيرا في الدارين وثبتنا الله وإياه على الحق حتى نلقاه إنه جواد كريم.

وكتب:

أبو عبد الرحمن

ردمان بن أحمد بن علي النظاري الحبيشي

ليلة / الجمعة / ١١/ من شهر الله المحرم الحرام لعام ١٤٤٨هـ

محافظة إب الخضراء

حرسها الله وجميع بلاد المسلمين

***

# محتوى هذا الكتاب

(١) لماذا سمي القلب بهذا الاسم

(٢): صلاح القلب سبب لصلاح الجوارح

(٣): القلب محل نظر الله تعالى

(٤): قلب النبي صلى الله عليه وسلم خير القلوب ثم قلوب الصحابة رضي الله عنهم

(٥): سمى الله القرآن وحيا لأن القلوب تحيا به

(٦): هل تتدبر القرآن أم أن قلبك أصبح مقفلاً عن التدبر

(٧): حديث: إنما الأعمال بالنيات: عمدة أعمال القلوب

(٨): الشجاعة شجاعة القلب وليس شجاعة البدن

(٩): عرض الفتن على القلوب

(١٠): تأثير الذنوب على القلوب

(١١): تأثر قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى

(١٢): لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان

(١٣): ادع الله أن يرزقك قلباً سليماً

(١٤): ادع الله أن يطهر قلبك من الأحقاد

(١٥): ادع الله أن يقيك شر قلبك

(١٦): ادع الله أن يجعل في قلبك نوراً

(١٧): ادع الله أن يقبل بقلوب العباد إلى الله

(١٨): ادع الله أن ينقي قلبك من الخطايا

(١٩): ادع الله أن يجدد الإيمان في قلبك ويزين قلبك به

(٢٠): اطلب قلبك في ثلاثة مواطن

(٢١): صفة القلب السليم

(٢٢): القلب الحي يتأثر بالواعظ بخلاف القلب الميت

(٢٣): أنواع القلوب

(٢٤): مفسدات القلوب

(٢٥): ادع الله أن يثبت قلبك على دينه

(٢٦): احذر أن تزيغ عن الحق فيزيغ قلبك

(٢٧): لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب مؤمن

(٢٨): نعوذ بالله من تقلب القلوب

(٢٩): لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى

(٣٠): خطر مجالسة أهل البدع والأهواء على القلوب

(٣١): كثرت الضحك تميت القلب

(٣٢): القلب لا يطمئن إلا بذكر الله

(٣٣): هنيئا لمن علق قلبه بالمساجد

(٣٤): الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب

(٣٥): من تفرغ لعبادة الله ملأ الله قلبه غنى وملأ يديه رزقا

(٣٦): تأثر القلوب بالموعظة

(٣٧): العلماء أطيب قلوبا وعيشا

(٣٨): أهمية اطمئنان القلب

(٣٩): أعظم عقوبة قسوة القلب

(٤٠): نعوذ بالله من قسوة القلوب

(٤١): علاج قسوة القلوب

(٤٢): أسباب قسوة القلوب

(٤٣): لا يجتمع حب القرآن وحب الغناء في قلب مسلم

(٤٤): من أمراض القلوب الرياء

(٤٥): من أمراض القلوب الحسد

(٤٦): من أمراض القلوب الحقد

(٤٧): من أمراض القلوب الكبر

(٤٨): من أمراض القلوب حب العلو

(٤٩): من أمراض القلوب حب التصدر

(٥٠): من أمراض القلوب حب السمعة والشهوة والظهور والمدح، والثناء، والادِّعاء

(٥١): من أمراض القلوب العجب

(٥٢): من أمراض القلوب الاختلاط بالنساء الأجنبيات

(٥٣): لا يجتمع الإخلاص وحب المدح في قلب مسلم

(٥٤): من أصلح سريرة قلبه أصلح الله علانيته

(٥٥): جثوم الشيطان على قلب ابن آدم إذا غفل عن ذكر الله تعالى

(٥٦): دعا النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الفتى الذي طلب الزنا أن يطهر الله قلبه

(٥٧): خطر الإكثار من سماع القصائد على القلب

(٥٨): أثر الحسنة وأثر السيئة على القلوب

(٥٩): إماطة الأذى عن القلوب من أفضل الصدقات

(٦٠): أيهما أشد مرض القلب أم مرض البدن

(٦١): مرض القلون نوعان

(٦٢): خطر مرض الشبهات والشهوات على القلوب

(٦٣): التقوى والفجور في القلب

(٦٤): محل العقل في القلب

(٦٥): شكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان والجوارح

(٦٦): الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح

(٦٧): بيان حال حديث: الإسلام علانية والإيمان في القلب

(٦٨): بطلان مقولة الإيمان في القلب

(٦٩): نصيحة لكل مسلم ومسلمة

***

# مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد:** فقد منَّ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليَّ بتأليف هذا الكتاب المبارك الذي هو بعنوان: (**أمراض القلوب وعلاجها**) أقدمه بين يديك أيها القارئ الكريم لكي تتأمل ما قد حواه مما هو متعلق بأمراض القلوب وقسوتها وعلاجها إذ أن الاهتمام بالقلب من الأمور المهمة لأن مدار صلاح الإنسان على صلاح قلبه فاجعل هذا الأمر نصب عينيك دائمًا وأبداً فالقلب تعتريه أمراض وغلفة وقسوة فهو بحاجة ماسة إلى العلاج الذي يُزيل عنه هذه الأمراض وغيرها وأعظم ما تعالج به قلبك القرآن والسنة وقد ذكرت في هذا الكتاب أسباب علاج القلب بما فيه الكفاية.

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يصلح قلوبنا وأن يطهرها من جميع الأمراض الحسية والمعنوي إنه جواد كريم.

❊❊❊

# كلمة شكر

**شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للإمام مقبل بن هادي الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي له الفضل بعد الله علينا، وعلى غيرنا من مشايخ أهل السنة والجماعة، وطلاب العلم، وغيرهم من المحبين للدعوة السلفية الصافية النقية في نشر هذه الدعوة، والخير والعلم، والصفاء، والنقاء، والثبات أسأل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرحمه، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته.

**وشكر الله** لمشايخنا الكرام الذين تعلمنا منهم العلم النافع علم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، واستفدنا منهم خيراً كثيراً، وعلى رأسهم: **شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري** حفظه الله وبقية المشايخ حفظهم الله تعالى.

**وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي** حفظه الله الذي تكرم؛ وقد لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن بارك فيه، وفي علمه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

**وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي** حفظه الله، وبارك الله فيه، وفي علمه، ومؤلفاته، وأهله، وماله، وما يملك.

فقد قام بمراجعة هذا الكتاب، وقدم له بمقدمة طيبة مباركة يشكر عليها، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرفع قدره في الدارين فهو من الناصحين، ومن المحبين، ومن المشجعين لي، ومن المتعاونين معي أيُما تعاون، ومن تشجيعٍ أيُما تشجيع، وأيُما تحفيز فجزاه الله خير الجزاء، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل كتبي التي يراجعها ويقدم لها هو وبقية المشايخ في ميزان حسناته، وحسنات الجميع.

**وهكذا أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري** حفظه الله الذي تكرم؛ وقد لهذا الكتاب بمقدمة طيبة أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن بارك فيه، وفي علمه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

**وأسأل الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزي خيراً كل من تعاون معي وأعانني على طلب العلم: بالأخص **والدتي** حفظها الله، وأطال الله في عمرها، فلها الفضل بعد الله في استمراري في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

**وهكذا رحم الله والدي** أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلني تجاه، والدي ممن قال فيهم: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**».**رواه أحمد** في "مسنده" (١٠٦١٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ١٢٩)، وفي **رواية البزار** في "مسنده" (٩٠٢٤) «**بدعاء ولدك لك**».

وممن قال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم في "صحيحه" (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وممن قَالَ فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ». رواه ابن ماجه في "سننه" (٢٤٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح ابن ماجه" (١/ ٣١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: أبي مالك عبد الله بن مقبل الحجافي حفظه الله الذي نسق هذا الكتاب، وغيره من الكتب أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبارك فيه، وفي أهله، وماله، وما يملك.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: أبي أحمد محمد اللحجي حفظه الله وبارك الله فيه، وفي جهوده، وتعاونه معي.

وهكذا شكر الله لأخينا الفاضل: أبي محمد عبد الرحمن الهندواني حفظه الله على محبته، وتشجيعه، ومساندته لي.

**وبعد هذا الشكر:** أرجو ممن قرأ هذا الكتاب أن يدعو لي؛ ولوالدي، ولمشايخي، ولسائر المسلمين بالرحمة والمغفرة والثبات على الكتاب والسنة حتى الممات.

**قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَرجُو إِنْ تَمَّ هذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا للمُعْتَنِي بِهِ إِلى الْخَيْرَاتِ حَاجزًا لَهُ عَنْ أَنْواعِ الْقَبَائِحِ والْمُهْلِكَاتِ. وأَنَا سَائِلٌ أخًا انْتَفعَ بِشيءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايخي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وعَلَى اللهِ الكَرِيمِ اعْتِمادي، وَإِلَيْهِ تَفْويضي وَاسْتِنَادي، وَحَسبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).اهـ من "رياض الصالحين" (٧).

**كتبه:**

**العبد الفقير إلى عفو ربه القدير**

**أبو عبد الرحمن**

**نور الدين بن أحمد بن قايد الحبيشي**

غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين

يوم الجمعة من شهر محرم

بتاريخ: ١١من شهر محرم/ ١/ ١٤٤٨هـ.

كان هذا العمل في منزلي في م/ الضالع / مديرية سناح

❊❊❊

# سبب تأليف هذا الكتاب

**نظراً لأهمية هذا الموضوع:** «**أمراض القلوب وعلاجها**» فقد امتلأت قلوب كثير من الناس بالأمراض والأحقاد والأغلال والحسد والبغضاء والشحناء وقد ظهر هذا المرض على ألسنتهم وصورهم وقلَّ من يسلم من هذه الأشياء في أوساط الناس إلا من سلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتجد أن الأخ صار يحقد على أخيه والصديق على صديقه والجار على جاره والشريك على شريكه فكل هذا حاصل في أوساط الناس.

**عزمت واستعنت بالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أجمع في هذا الكتاب ما يتعلق بهذا **الموضوع المهم الذي هو بعنوان:** «**أمراض القلوب وعلاجها**». الذي اعتبره نصيحة لي ولجميع المسلمين.

ذكرت فيه فضل صلاح القلب وأسبابه صلاحه وفي جانب أخر ذكرت خطر الذنوب والمعاصي على القلوب وأسباب قسوته وزيغه وانحرافه وكل ما يتعلق بصلاح القلب وفساده.

**وكلُ ذلك بتوفيق الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لي، وإعانته وتسهليه، فله الحمد والمنة.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلني ممن يخدم دينه، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يستعملني في طاعته، وفيما يرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدين بغرس يستعملهم في طاعته**». (١)

**وأن يجعلني ممن اختصهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمنافع الإسلام والمسلمين.**

**عن ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم**». **رواه الطبراني** في "الأوسط" (٥١٦٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٢٦٤).

***

(١) **رواه ابن حبان** في "صحيحه" (٣٢٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٥٧١)، من حديث **أبي عنبة الخولاني** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

# لماذا سمي القلب بهذا الاسم

إنما سُمي القلب بهذه التسمية لتقلبه كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١١٠].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور:٣٧].

**وقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٣٨١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٣٧٤).

***

# صلاح القلب سبب لصلاح الجوارح

**عن النعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**». **متفق عليه**.(خ ٥٢ - م ١٥٩٩).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**مضغة**» يعني قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغه الإنسان، صغيرة لكن شأنها عظيم، هي التي تدبر الجسد: «**إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**». ليست العين، ولا الأنف، ولا اللسان، ولا اليد، ولا الرجل، ولا الكبد، ولا غيرها من الأعضاء، إنما هي القلب، ولهذا كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا إلى طاعتك**». [١]

فالإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب، ولهذا ينبغي لك أيها المسلم أن تعتني بصلاح قلبك، فلاح الظواهر وأعمال الجوارح طيب، ولكن الشأن

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٦٥٤) من حديث **عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كل الشأن في صلاح القلب، يقول الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون:٤].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ من الهيئة الحسنة، وحسن عمل الجوارح، وإذا قالوا، قالوا قولاً تسمع له من حسنه وزخرفته، لكن قلوبهم خربة والعياذ بالله ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ليس فيها خير.

فأنت اعتنِ بصلاح القلب، انظر قلبك هل فيه شيء من الشرك؟ هل فيه شيء من كراهة ما أنزل الله؟ هل فيه شيء من كراهة عباد الله الصالحين؟ هل فيه شيء من الميل إلى الكفار؟ هل فيه شيء من موالاة الكفارة؟ هل فيه شيئاً من الحسد، هل فيه شيء من الغل؟ هل فيه شيء من الحقد؟ وما أشبه ذلك من الأمراض العظيمة الكثيرة في القلوب، فطهر قلبك من هذا وأصلحه، فإن المدار عليه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [سورة العاديات:٩-١١].

هذا يوم القيامة، العلم على الباطن، في الدنيا العمل على الظاهر، مالنا إلا ظواهر الناس، لكن في الآخرة العمل على الباطن، أصلح الله قلوبنا وقلوبكم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩﴾ [سورة الطارق:٩].

﴿تُبْلَى﴾ يعني: تختبر السرائر فمن كان من المؤمنين؛ ظهر إيمانه، ومن كان من أهل النفاق؛ ظهر نفاقه والعياذ بالله، لذلك أصلح قلبك يا أخي، لا تكره شريعة الله، لا تكره عباد الله الصالحين، لا تكره أي شيء مما نزَّل الله، فإن كراهتك لشيء مما نزَّل الله كفر بالله تعالى، نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق والصلاح. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٤٩١).

**وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ صَلَاحَ حَرَكَاتِ الْعَبْدِ بِجَوَارِحِهِ، وَاجْتِنَابَهُ الْمُحَرَّمَاتِ وَاتِّقَاءَهُ لِلشُّبَهَاتِ بِحَسَبِ صَلَاحِ حَرَكَةِ قَلْبِهِ. فَإِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَلِيمًا، لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مَحَبَّةُ اللهِ وَمَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَخَشْيَةُ اللهِ وَخَشْيَةُ الْوُقُوعِ فِيمَا يَكْرَهُهُ، صَلَحَتْ حَرَكَاتُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، وَنَشَأَ عَنْ ذَلِكَ اجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ كُلِّهَا، وَتَوَقِّ لِلشُّبَهَاتِ حَذَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ. وَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ فَاسِدًا، قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اتِّبَاعُ هَوَاهُ، وَطَلَبُ مَا يُحِبُّهُ، وَلَوْ كَرِهَهُ اللهُ، فَسَدَتْ حَرَكَاتُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، وَانْبَعَثَتْ إِلَى كُلِّ الْمَعَاصِي وَالْمُشْتَبِهَاتِ بِحَسَبِ اتِّبَاعِ هَوَى الْقَلْبِ. وَلِهَذَا يُقَالُ: الْقَلْبُ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَبَقِيَّةُ الْأَعْضَاءِ جُنُودُهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا جُنُودٌ طَائِعُونَ لَهُ، مُنْبَعِثُونَ فِي طَاعَتِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ، لَا يُخَالِفُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ صَالِحًا كَانَتْ هَذِهِ الْجُنُودُ صَالِحَةً، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا كَانَتْ جُنُودُهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فَاسِدَةً، وَلَا يَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ إِلَّا

الْقَلْبُ السَّلِيمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**». (١) فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ السَّالِمُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ سِوَى مَحَبَّةِ اللهِ وَمَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَخَشْيَةِ اللهِ، وَخَشْيَةِ مَا يُبَاعِدُ مِنْهُ. وَفِي " مُسْنَدِ " الْإِمَامِ أَحْمَدَ (٢) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ**». وَالْمُرَادُ بِاسْتِقَامَةِ إِيمَانِهِ: اسْتِقَامَةُ أَعْمَالِ جَوَارِحِهِ، فَإِنَّ أَعْمَالَ جَوَارِحِهِ لَا تَسْتَقِيمُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ، وَمَعْنَى اسْتِقَامَةِ الْقَلْبِ أَنْ يَكُونَ مُمْتَلِئًا مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَمَحَبَّةِ طَاعَتِهِ، وَكَرَاهَةِ مَعْصِيَتِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ: دَاوِ قَلْبَكَ؛ فَإِنَّ حَاجَةَ اللهِ إِلَى الْعِبَادِ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ: يَعْنِي أَنَّ مُرَادَهُ مِنْهُمْ وَمَطْلُوبَهُ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ، فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِيهَا مَعْرِفَةُ اللهِ وَعَظَمَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَخَشْيَتُهُ وَمَهَابَتُهُ وَرَجَاؤُهُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَتَمْتَلِئَ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " فَلَا صَلَاحَ لِلْقُلُوبِ حَتَّى يَكُونَ إِلَهُهَا الَّذِي تَأْلَهُهُ وَتَعْرِفُهُ وَتُحِبُّهُ وَتَخْشَاهُ هُوَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ

(١)

(٢)

لَهُ، وَلَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ يُؤَلَّهُ سِوَى اللهِ، لَفَسَدَتْ بِذَلِكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء:٢٢].

فَعِلْمَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ مَعًا حَتَّى تَكُونَ حَرَكَاتُ أَهْلِهَا كُلُّهَا لِلَّهِ، وَحَرَكَاتُ الْجَسَدِ تَابِعَةٌ لِحَرَكَةِ الْقَلْبِ وَإِرَادَتِهِ، فَإِنْ كَانَتْ حَرَكَتُهُ وَإِرَادَتُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ صَلَحَ وَصَلَحَتْ حَرَكَاتُ الْجَسَدِ كُلِّهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَرَكَةُ الْقَلْبِ وَإِرَادَاتُهُ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، فَسَدَ، وَفَسَدَتْ حَرَكَاتُ الْجَسَدِ بِحَسَبِ فَسَادِ حَرَكَةِ الْقَلْبِ.اهـ من "جامع العلوم والحكم" (١/ ٢١١).

❊❊❊

# القلب محل نظر الله تعالى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٦٤).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث يدل على ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا ينظر إلى العباد إلى أجسامهم هل هي كبيرة أو صغيرة، أو صحيحة، أو سقيمة، ولا ينظر إلى الصور، هل هي جميلة أو ذميمة، كل هذا ليس بشيء عند الله، وكذلك لا ينظر إلى الأنساب؛ هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلى الأموال، ولا ينظر إلى شيء من هذا أبدا، فليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوي، فمن كان لله أتقى كان من الله أقرب، وكان عند الله أكرم؛ إذا لا تفتخر بمالك، ولا بجمالك، ولا ببدنك، ولا بأولادك، ولا بقصورك، ولا سياراتك، ولا بشيء من هذه الدنيا أبداً إنما إذا وفقك الله

للتقوى فهذا من فضل الله عليك فأحمد الله عليه قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ولكن ينظر إلى قلوبكم**» فالقلوب هي التي عليها المدار، وهذا يؤيد الحديث الذي صدر المؤلف به الكتاب: «**إنما الأعمال بالنيات**». (١)

القلوب هي التي عليها المدار، كم من إنسان ظاهر عمله أنه صحيح وجيد وصالح، لكن لما بني على خراب صار خراباً، فالنية هي الأصل، تجد رجلين يصليان في صف واحد، مقتدين بإمام واحد، يكون بين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب؛ لأن القلب مختلف، أحدهما قلبه غافل، بل ربما يكون مرائيا في صلاته- والعياذ بالله - يريد بها الدنيا.

والآخر قلبه حاضر يريد بصلاته وجه الله واتباع سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبينهما فرق عظيم، فالعمل على ما في القلب، وعلى ما في القلب يكون الجزاء يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [سورة الطارق:٨-٩].

أي: تختبر السرائر لا الظواهر، في الدنيا الحكم بين الناس على الظاهر؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما أنا بشر وإنكم تختصمون، ولعل بعضكم أن**

(١) **متفق عليه**.(خ١-م١٩٠٧) من حديث **عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

**يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو مما أسمع لكن في الآخرة على ما في السرائر»**،[1] نسأل الله أن يطهر سرائرنا جميعاً.

**العلم على ما في السرائر:** فإذا كانت السريرة جيدة صحيحة فأبشر بالخير، وإن كانت الأخرى فقدت الخير كله، وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ [سورة العاديات:٩-١٠].

فالعلم على ما في القلب، وإذا كان الله تعالى في كتابه، وكان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته يؤكدان على إصلاح النية؛ فالواجب على الإنسان أن يصلح نيته، يصلح قلبه، ينظر ما في قلبه من الشك فيزيل هذا الشك إلى اليقين كيف؟ وذلك بنظره في الآيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠﴾ [سورة آل عمران:١٩٠].

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [سورة الجاثية:٤].

إذا ألقي الشيطان في قلبك الشك فانظر في آيات الله، انظر إلى هذا الكون من يدبره انظر كيف تتغير الأحوال، كيف يداول الله الأيام بين الناس، حتى تعلم أن لهذا الكون مدبراً حكيماً عز وجل.

---

(١) **متفق عليه**.(خ٧١٦٨-م١٧١٣) من حديث **أم سلمة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الشرك؛ طهر قلبك منه، كيف أطهر قلبي من الشرك؟

أطهر قلبي؛ بأن أقول لنفسي: إن الناس لا ينفعوني إن عصيت الله ولا ينقذونني من العقاب، وإن أطعت الله لم يجلبوا إلى الثواب.

فالذي يجلب الثواب ويدفع العقاب هو الله، إذا كان الأمر كذلك فلماذا تشرك بالله- عز وجل- لماذا تنوي بعبادتك أن تتقرب إلى الخلق.

ولهذا من تقرب إلى الخلق بما يتقرب به إلى الله ابتعد عنه، وابتعد عنه الخلق.

يعني لا يزيده تقربه إلى الخلق بما يقربه إلى الله؛ إلا بعداً من الله ومن الخلق؛ لن الله إذا رضي عنك أرضي عنك الناس، وإذا سخط عليك أسخط عليك الناس، نعوذ بالله من سخطه وعقابه.

**المهم يا أخي:** عالج القلب دائمـًا، كن دائمـًا في غسيل للقلب حتى يطهر؛ كما قال الله – عز وجل –: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

فتطهير القلب أمر مهم جداً، أسال الله أن يطهر قلبي وقلوبكم، وأن يجعلنا له مخلصين ولرسوله متبعين.اهـ من "شرح رياض الصالحين" (١/ ٦٠).

❋❋❋

# قلب النبي صلى الله عليه وسلم خير القلوب ثم قلوب الصحابة رضي الله عنهم

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ». رواه أحمد في "مسنده" (٣٦٠٠)، وإسناده حسن.

***

# سمى الله القرآن وحيا لأن القلوب تحيا به

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى:٥٢].

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْآيَةَ فَسَمَّى وَحْيَهُ وَأَمْرَهُ رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ. وَسَمَّاهُ نُورًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَاسْتِنَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْفُرْقَانِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

**وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ:** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ فَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى الْكِتَابِ، وَقِيلَ: عَلَى الْإِيمَانِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الرُّوحِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ أَمْرَهُ رُوحًا وَنُورًا وَهُدًى، وَلِهَذَا تَرَى صَاحِبَ اتِّبَاعِ الْأَمْرِ وَالسُّنَّةِ قَدْ كُسِيَ مِنَ الرُّوحِ وَالنُّورِ وَمَا يَتْبَعُهُمَا مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالْمَهَابَةِ وَالْجَلَالَةِ وَالْقَبُولِ مَا قَدْ حُرِمَهُ غَيْرُهُ، كَمَا **قَالَ الْحَسَن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَنْ رُزِقَ حَلَاوَةً وَمَهَابَةً**». وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: من قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

فَأَوْلِيَاؤُهُمْ يُعِيدُونَهُمْ إِلَى مَا خُلِقُوا فِيهِ، مِنْ ظُلْمَةِ طَبَائِعِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكُلَّمَا أَشْرَقَ لَهُمْ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَكَادُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ مَنَعَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْهُ وَصَدُّوهُمْ، فَذَلِكَ إِخْرَاجُهُمْ إِيَّاهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

فَأَحْيَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِرُوحِهِ الَّذِي هُوَ وَحْيُهُ وَهُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الظُّلْمَةِ كَمَا يَمْشِي الرَّجُلُ بِالسِّرَاجِ الْمُضِيءِ فِي الظُّلْمَةِ، فَهُوَ يَرَى هْلَ الظُّلْمَةِ فِي ظُلُمَاتِهِمْ وَهُمْ لَا يَرَوْنَهُ كَالْبَصِيرِ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ الْعُمْيَانِ.اهـ من "اجتماع الجيوش الإسلامية" (٢/ ٤١).

***

# هل تتدبر القرآن أم أن قلبك أصبح مقفلا عن التدبر

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد: ٢٤].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. اهـ من "تفسيره" (٧٨٨).

**وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ، وَنَاهِيًا عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أَيْ: بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا، فَهِيَ مُطْبَقَة لَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ. اهـ من "تفسيره" (٧/ ٣٢٠).

❊❊❊

# حديث: إنما الأعمال بالنيات: عمدة أعمال القلوب

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، ولهذا **قال العلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: مدار الإسلام على حديثين: هما هذا الحديث، وحديث **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدّ**». [1] فهذا الحديث عمدة أعمال القلوب، فهو ميزان الأعمال الباطنة، وحديث عائشة: عمدة أعمال الجوارح، مثاله: رجل مخلص غاية الإخلاص، يريد ثواب الله عزّ وجل ودار كرامته، لكنه وقع في بدع كثيرة، فبالنظر إلى نيّته: نجد أنها نيّة حسنة، وبالنظر إلى عمله: نجد أنه عمل سيء مردود، لعدم موافقة الشريعة.

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٧١٨) من حديث **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

**ومثال آخر:** رجلٌ قام يصلّي على أتمّ وجه، لكن يرائي والده خشية منه، فهذا فقد الإخلاص، فلا يُثاب على ذلك إلا إذا كان أراد أن يصلي خوفـًا أن يضربه على ترك الصلاة فيكون متعبّداً لله تعالى بالصلاة. اهـ من "شرح الأربعين النووية" (١٣).

***

# الشجاعة شجاعة القلب وليس شجاعة البدن

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالشَّجَاعَةُ لَيْسَتْ هِيَ قُوَّةُ الْبَدَنِ وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ قَوِيَّ الْبَدَنِ ضَعِيفَ الْقَلْبِ؛ وَإِنَّمَا هِيَ قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ. فَإِنَّ الْقِتَالَ مَدَارُهُ عَلَى قُوَّةِ الْبَدَنِ وَصَنْعَتِهِ لِلْقِتَالِ؛ وَعَلَى قُوَّةِ الْقَلْبِ وَخِبْرَتِهِ بِهِ. وَالْمَحْمُودُ مِنْهُمَا مَا كَانَ بِعِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ؛ دُونَ التَّهَوُّرِ الَّذِي لَا يُفَكِّرُ صَاحِبُهُ وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَحْمُودِ وَالْمَذْمُومِ). اهـ من "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٥٨).

***

# عرض الفتن على القلوب

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ»، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ» قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا». رواه مسلم في "صحيحه" (١٤٤).

***

# تأثير الذنوب على القلوب

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ**»، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين:١٤]. **رواه الترمذي** في "سننه" (٣٣٣٤)، **وأحمد** في "مسنده" (٧٩٣٩)، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ٣٥٧) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/ ١٢٥).

**وقال عبد الله ابن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ *** وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك *** وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا *** ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة *** يبين لذي العقل إنتانها[1]

---

(١) اهـ من "تاريخ الإسلام" (١٢/ ١٣٤).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَعَاصِي تُمْرِضُ الْقُلُوبَ وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولًا لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ، فَإِنَّ تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ فِي الْقُلُوبِ كَتَأْثِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَدَاؤُهَا، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا.

**وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللهِ:** أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونُ صَحِيحَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاؤُهَا، فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِهَا، وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا، وَشِفَاؤُهَا مُخَالَفَتُهُ، فَإِنِ اسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتَلَ أَوْ كَادَ.

وَكَمَا أَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتِ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، فَكَذَا يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ، لَا يُشْبِهُ نَعِيمُ أَهْلِهَا نَعِيمًا الْبَتَّةَ، بَلِ التَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ، كَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبُهُ هَذَا وَهَذَا.

وَلَا تَحْسَبُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الانفطار:١٣-١٤].

مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ بَلْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ - أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ الْبَرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ - فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟ وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللهِ، وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللهِ، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ عُذِّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصُلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُذِّبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الْمُعَارَضَاتِ، فَإِذَا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

**وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ:** فَعَذَابٌ يُقَارِنُهُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجُو عَوْدَةً وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضِدِّهِ، وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللهِ، وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ، فَالْهَمُّ وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ تَعْمَلُ فِي نُفُوسِهِمْ نَظِيرَ مَا يَعْمَلُ الْهَوَامُّ وَالدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النُّفُوسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ هُوَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ

نَعِيمِ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبُهُ طَرَبًا وَفَرَحًا وَأُنْسًا بِرَبِّهِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَيْهِ، وَارْتِيَاحًا بِحُبِّهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِذِكْرِهِ؟ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ نَزْعِهِ: وَاطَرَبَاهُ.

**وَيَقُولُ الْآخَرُ:** مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِيهَا، وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا.

**وَيَقُولُ الْآخَرُ:** لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

**وَيَقُولُ الْآخَرُ:** إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

فَيَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ الْغَالِي بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ، وَغُبِنَ كُلَّ الْغَبْنِ فِي هَذَا الْعَقْدِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غُبِنَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ خِبْرَةٌ بِقِيمَةِ السِّلْعَةِ فَسَلِ الْمُقَوِّمِينَ، فَيَا عَجَبًا مِنْ بِضَاعَةٍ مَعَكَ اللهُ مُشْتَرِيهَا وَثَمَنُهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، وَالسَّفِيرُ الَّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ وَضَمِنَ الثَّمَنَ عَنِ الْمُشْتَرِي هُوَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَقَدْ بِعْتَهَا بِغَايَةِ الْهَوَانِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلُ عَبْدٍ بِنَفْسِهِ ... فَمَنْ ذَا لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُكْرِمُ

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة الحج:١٨]..اهـ من "الداء والدواء" (٧٦).

**وقال صاحب موسوعة فقه القلوب: (فالعارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها لأول وهلة، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم؛ لأن ترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فلا يؤمر بالفضيلة من لم يقم بالفريضة)**. اهـ من "موسوعة فقه القلوب" (٤/ ٣٠٣٩).

**قال ابن المعتز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خَلِّ الذنوبَ صغيرها *** وكبيرها ذاك التقى
واصنع كَمَاشٍ فوق أرض الشوك *** يَحْذرُ ما يرى
لا تحقِرنَّ صغيرةً *** إن الجبالَ من الحصى [1]

***

(١) اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٥/ ١٢).

# تأثر قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنفال:٢].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.** اهـ من "تفسيره" (٣١٥).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ [سورة الحج:٣٥].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أي: خوفًا وتعظيمًا، فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده.** اهـ من "تفسيره" (٥٣٨).

***

# لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». رواه أحمد في "مسنده" (١٣٠٤٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ٨٢٢).

***

# ادع الله أن يرزقك قلبا سليما

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، فَاكْنِزْ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**». رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٧١٣٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٧/ ٦٩٥).

**الشاهد من الحديث قوله:** «**وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**».

**قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ:** وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**». (١) فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ السَّالِمُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ كُلِّهَا، وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ سِوَى مَحَبَّةِ اللهِ وَمَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَخَشْيَةِ اللهِ، وَخَشْيَةِ مَا يُبَاعِدُ مِنْهُ.اهـ من "جامع العلوم والحكم" (١/ ٢١١).

---

(١) تقدم تخريجه.

# ادع اللّه أن يطهر قلبك من الاحقاد

**عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدعو رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر عليّ وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر هداي إلي وانصرني على من بغى عليَّ اللهم اجعلني لك شاكراً لك ذاكراً لك راهباً لك مطواعاً إليك مخبتاً أو منيباً رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة قلبي**». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٥١٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١٣٥٣).

**الشاهد من الحديث قوله:** «**واسلل سخيمة قلبي**».

**قال العلامة العباد حفظه الله** رَحِمَهُ اللَّهُ: (**يعني: أخرج ما فيه من الحقد والضغن، والأشياء التي تكون في القلوب مما تعتريه وهي مذمومة وغير محمودة**).اهـ من "شرح سنن أبي داود" (١٨١/ ٢٦).

***

# ادع الله أن يقيك شر قلبك

عَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ، عَلِّمْنِي دُعَاءً، قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي». رواه أبو داود في "سننه" (١٥٥١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١٥٥١).

قال العلامة العباد حفظه الله: قوله: «ومن شر سمعي». يعني كونه يسمع به ما لا يجوز سماعه، وهذا هو الشر الذي يقع عن طريق السمع.

«ومن شر بصري» يعني: كونه ينظر إلى محرم.

«ومن شر لساني» يعني: كونه يتكلم بكلام شر وفسوق، وقد جاء في الحديث: «من يضمن لي ما بين رجليه وما بين لحييه أضمن له الجنة». (١)

---

(١) رواه البخاري في "صحيحه" (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء بنحوه بلفظ: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة». رواه الترمذي "سننه" (٢٤٠٩)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٤٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاءت الأحاديث الكثيرة في بيان خطر اللسان، ومنها **حديث معاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كف عليك هذا - وأشار إلى لسان نفسه - فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به! قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟!»**. (١)

**«ومن شر قلبي»**. يعني: ما يكون فيه من الحقد ومن كل شر وبلاء.

**«ومن شر منيي»**. يعني: كونه يضعه في موضع لا يحل له أن يضعه فيه، قال الله عز وجل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون:٥-٧].

فإذا وضع منيه في غير هذين الموضعين - وهما الأزواج وملك اليمين- فإنه من العدوان والاعتداء، وصاحبه ملوم، وفي الحديث الذي أشرت إليه: **«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»**. (٢) يعني: يحفظ فرجه. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (١٨٤/ ٢٧).

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٦١٦) وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٦١٦) من حديث **معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **تقدم تخريجه.**

# ادع الله أن يجعل في قلبك نورا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**». متفق عليه.(خ ٦٣١٦-م ٧٦٣).

**قال العلامة العباد** حفظه الله: هذا النور الذي دعا به يشمل النور الحسي الذي يكون يوم القيامة، ويشمل النور المعنوي الذي يكون في هذه الحياة الدنيا، وهو أن يكون على هدى وبصيرة، وأن يسير إلى الله عز وجل على نور وهدى واستقامة، قد أخرج من الظلمات إلى النور بالحق والهدى.

وهذا الدعاء جاء في الخروج إلى صلاة الفجر، لكن الذي يبدو أنه يمكن أن يكون أيضاً في غيرها، ولهذا يذكرونه في الخروج إلى جميع الصلوات، وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول آداب المشي إلى الصلاة أنه يدعى به عند الخروج إلى الصلاة.اهـ من "شرح سنن أبي داود" (١٣/ ١٦٥).

❊❊❊

# ادع اللّه أن يقبل بقلوب العباد إلى اللّه

**عن زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ قبل العراق، فقال: «**اللهم أقبل بقلوبهم**». **رواه ابن حجر** في "المطالب العالية" (٤٣٦٤)، وهو حديث صحيح في "الصحيح المسند" (١/ ٣٠٠) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

***

# ادع اللّه أن ينقي قلبك من الخطايا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ». متفق عليه.(خ ٦٣٦٨-م ٥٨٩).

❊❊❊

# ادع الله أن يجدد الإيمان في قلبك ويزين قلبك به

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ». رواه الحاكم في "مستدركه" (٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ١١٣).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [سورة الحجرات:٧].

***

# أفضل الناس من طهر قلبه من الحسد وسلم من ذلك

**عن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيّ الناس أفضل؟ قال: «**كلّ مخموم القلب، صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: **هو التقيّ النقيّ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد**». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٤٢١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٩٤٨).

**قال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال بعض السلف** رَحِمَهُمُ اللَّهُ: **أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس، والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة**.اهـ من "لطائف المعارف" (١٣٩).

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الْحَسَد مرض من أمراض النَّفس، وَهُوَ مرض غَالب فَلَا يخلص مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيل من النَّاس، وَلِهَذَا يُقَال: مَا خلا جَسَد من حسد لَكِن اللَّئِيم يبديه والكريم يخفيه)**.اهـ من "أمراض القلوب وشفائها"(٢١).

**وقال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْغِلُّ هُوَ الْحَسَدُ فَمَا خَرَجَ مِنْهُ فَهُوَ الشَّرُّ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ فَهُوَ الْغِلُّ، وَلَيْسَ يَسْلَمُ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ)**. اهـ من "حلية الأولياء" (٧/ ٢٨٤)، **بإسناد صحيح**.

❊❊❊

# اطلب قلبك في ثلاثة مواطن

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أطلب قَلْبك فِي ثَلَاثَة مَوَاطِن:

عِنْد سَماع الْقُرْآن:

وَفِي مجَالِس الذّكر:

وَفِي أَوْقَات الْخلْوَة:

فَإِن لم تَجدهُ فِي هَذِه المواطن فسل الله أَن يمُن عَلَيْك بقلبٍ فَإِنَّهُ لَا قلب لَك. اهـ من "الفوائد" (١٤٨).

الموطن الأول: عند سماع القرآن.

هل تتأثر بسماع القرآن عندما تقرأ أو تسمع أم أن قلبك قد صار قاسيًا وصارت الجبال أفضل منه تتأثر وتتخشع وتتصدع بسماع القرآن.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحشر: ٢١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحديد:١٦].

**الموطن الثاني: في مجالس الذكر:**

**هل تستحضر قلبك عندما تجلس في مجالس الذكر أنها مجالس الملائكة.**

**قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مجالس الذكر مجالس الملائكة).** اهـ من "الوابل الصيب" (٤٣).

**وهل يستحضر قلبك أيضًا أن مجالس الذكر فيها فضائل عظيمة من أعظمها أنها سبب لدخول الجنة وحصول المغفرة:**

**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ**

تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».

رواه مسلم في "صحيحه" (٢٧٠١).

**الشاهد من الحديث قوله:** قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا.

**وعَنِ عبد الله بن عَمْرِو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ**». رواه أحمد في "مسنده" (٦٧٧٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٧/ ١٠٠٣).

**الشاهد الحديث قوله:** «مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟».

**وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**». رواه الترمذي في "سننه" (٣٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ١٣٠).

**الشاهد من الحديث:** قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**».

**وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ**، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ،

وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٦٨٩).

**الشاهد من الحديث قوله:** «فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

**وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ

عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ». متفق عليه.(خ ٦٦-م ٢١٧٦).

**الشاهد من الحديث قوله:** «فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ». رواه أحمد في "مسنده" (١٢٤٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٢٤٥).

**الشاهد من الحدث قوله:** «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ».

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُنْتُ أَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي حَازِمٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْغَدَاةِ، من غير أَن يكون درس، لِئَلَّا أنفض عادتي من الْحُضُورِ).اهـ من "كتاب الحث على طلب العلم" (٧٨).

**الموطن الثالث:** في أوقات الخلوة.

هل تستحضر أن الله يراك ويراقبك في جميع أوقاتك ومن ذلك في أوقات خلواتك: كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [سورة الشعراء:٢١٨-٢٢٠].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد:٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة المجادلة:٧].

**أما أنك ممن قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النساء:١٠٨].

وممن قال فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**وعن ثوبان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً**»، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**». رواه ابن ماجه في

"سننه" (٤٢٤٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٣٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ١٥٩) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، وقال بعضهم: ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات، وطاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات بإذن الله)**. اهـ من "دروس تربوية من أحاديث نبوية" (١/ ١٩).

**وقال أبو العتاهية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهرَ يومًا فلا تَقُلْ خَلَوتُ ❊❊❊ ولـكِـنْ قُـلْ: عَـلَـيَّ رَقِـيـبُ

ولا تَـحْسَـبَـنَّ الله يَـغْـفُـلُ سَـاعـةً ❊❊❊ ولا أنَّ مـا يَـخْـفَى عَـلَـيْـهِ يَـغِـيـبُ [1]

**وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت فقال لها ما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكبها.**

**أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب فقال لها هل بقي باب لم يغلق قالت نعم الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها.**

**رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة فقال إن الله يراكما سترنا الله وإياكما)**.

اهـ من "كلمة الإخلاص وتحقيق معناها" (٤٩).

---

(١) اهـ من "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٤٨٠).

**قلت: وما أحسن ما جاء عن أبي بكر المسكي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما راودته امرأة على أن يفعل الفاحشة بها وأخذته إلى بيتها، لكنه أبى ذلك، وراقب الله في خلوته بهذه المرأة، ورفض أن يفعل بها الفاحشة.

**جاء عنه أنه حين قيل له:** إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟

**فقال:** والله لي سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: إن لي حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة، ففعلت.

فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، أي:(الغائط)، وألقيتها على جسمي، ثم رجعت إليها، وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دهشت، ثم أمرت بإخراجي فمضيت واغتسلت.

فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلاً يقول لي: **(فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة)** فأصبحت، والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن. اهـ من "موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق" (١/ ٢٨١).

***

# صفة القلب السليم

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩].

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(القلب السليم: هو الذى سلِم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا وفى جنة في البرزخ وفى جنة يوم المعاد ولا يتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر وهو يناقض التجريد، والإخلاص يعم وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها)**. اهـ من "الجواب الكافي" (٨٤).

**وقال الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واختلف في معنى القلب السليم فقيل: السليم من الشرك؛ فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين، وقال سعيد بن**

المسيب القلب السليم الصحيح، وهو: قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض، وقيل: هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن إلى السنة، وقيل: السالم من آفة المال والبنين، وقال الضحاك: السليم الخالص، وقال الجنيد: السليم في اللغة اللديغ فمعناه أنه قلب كاللديغ من خوف الله تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القران، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة). اهـ من "فتح القدير" (٤/ ١٠٦).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إنَّ مَعْنَاهُ إلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنْ الشِّرْكِ؛ فَأَمَّا الذُّنُوبُ فَلَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْهَا.

وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْقَلْبُ سَلِيمًا إذَا كَانَ حَقُودًا حَسُودًا، مُعْجَبًا مُتَكَبِّرًا، وَقَدْ شَرَطَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِيمَانِ: «أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». (١) وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ بِرَحْمَتِهِ. اهـ من "أحكام القرآن" (٣/ ٤٥٩).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَبِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ

(١) متفق عليه. (خ١٣/ م٤٥) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

**الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ اللهُ)**.اهـ من "البداية والنهاية" (١٨/ ٥٢٣).

**وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعض السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: (أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس، والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الإجتهاد في الصوم والصلاة)**.اهـ من "لطائف المعارف" (١٣٩).

**وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** فَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (١) لَهُ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِك وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ يُشِيرُ إلَى خُلُوِّهِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَسَدِ.

---

(١) **قلت:** وهذا الحديث الذي ذكره **شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** في "مجموع فتاواه" (١/ ٢٧)، هو حديث: **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ،

وَبِهَذَا أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الْأَنْصَارِ فَقَالَ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر:٩].

---

حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: «**مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٢٦٩٧).

**قال الإمام الالباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخرجه عبد الله بن المبارك في "الزهد" (٢٤١/ ٦٩٤)، والروايتان مع الزيادتين له، وعبد الرزاق في " المصنف " (١١/ ٢٨٧/ ٢٠٥٥٩)، وعنه أحمد (٣/ ١٦٦)، والسياق له.

وإسناده صحيح على شرط الشيخين؛ كما **قال المنذري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورواه غيرهم كما في "الترغيب " (٤/ ١٣).

وقد قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب الحديث في "الفتاوى" (١٠/ ١١٩): "فقول عبد الله بن عمرو له: "هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق: يشير إلى خلوِّه وسلامته من جميع أنواع الحسد، وبهذا أثنى الله تعالى على الأنصار، فقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر:٩].

أي: مما أوتي إخوانهم المهاجرون، قال المفسرون: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون ". فهلا اقتديت بهم أيها الأنصاري؟!.ا هـ من "السلسلة الضعيفة" (١/ ٢٦).

أَيْ مِمَّا أُوتِيَ إِخْوَانُهُمْ الْمُهَاجِرُونَ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً أَيْ حَسَدًا وَغَيْظًا مِمَّا أُوتِيَ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ مَالِ الْفَيْءِ، وَقِيلَ: مِنْ الْفَضْلِ وَالتَّقَدُّمِ.اهـ من "مجموع فتاواه" (١/ ٢٧).

**وفي ترجمة العلامة ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كتاب الإنجاز في ترجمة **الإمام عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ" (٢٨٢) **لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة: أن الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان سأل الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لماذا نجد لك كلَّ هذا القبول والحُبَّ في قلوب الناس؟

**غير أن الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجبه ورغب الإعراض عن مثل هذا السؤال إلا أن الشيخ عبد العزيز السدحان ألحّ عليه في ذلك، موضحاً أن الغاية من هذا أن يستفيد الجميع فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنني لا أحمل في قلبي شيئاً**». اهـ.[١]

❊❊❊

(١) **وانظر**: "موسوعة إمام المسلمين في القرن العشرين" (١/ ١٠٣).

# القلب الحي يتأثر بالمواعظ بخلاف القلب الميت

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق:٣٧].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها، استماعًا يسترشد به، وقلبه ﴿شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر، فهذا له أيضا ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى.

وأما المعرض، الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئًا، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته. اهـ من "تفسيره" (٨٠٧).

***

# أنواع القلوب

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ قَلْبُهُ مَيِّتٌ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا قَلْبَ لَهُ، فَهَذَا لَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ذِكْرَى فِي حَقِّهِ.

الثَّانِي: رَجُلٌ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ مُسْتَعِدٌّ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِلْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةِ الَّتِي يُخْبِرُ بِهَا اللهُ عَنِ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ إِمَّا لِعَدَمِ وُرُودِهَا، أَوْ لِوُصُولِهَا إِلَيْهِ وَلَكِنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْهَا بِغَيْرِهَا، فَهُوَ غَائِبُ الْقَلْبِ، لَيْسَ حَاضِرًا، فَهَذَا أَيْضًا لَا تَحْصُلُ لَهُ الذِّكْرَى مَعَ اسْتِعْدَادِهِ وَوُجُودِ قَلْبِهِ.

الثَّالِثُ: رَجُلٌ حَيُّ الْقَلْبِ مُسْتَعِدٌّ، تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَأَصْغَى بِسَمْعِهِ، وَأَلْقَى السَّمْعَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ بِغَيْرِ فَهْمِ مَا يَسْمَعُهُ، فَهُوَ شَاهِدُ الْقَلْبِ، مُلْقِ السَّمْعَ، فَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ الْمَتْلُوَّةِ وَالْمَشْهُودَةِ.

فَالْأَوَّلُ: بِمَنْزِلَةِ الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ.

وَالثَّانِي: بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الطَّامِحِ بِبَصَرِهِ إِلَى غَيْرِ جِهَةِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، فَكِلَاهُمَا لَا يَرَاهُ.

**وَالثَّالِثُ:** بِمَنْزِلَةِ الْبَصِيرِ الَّذِي قَدْ حَدَّقَ إِلَى جِهَةِ الْمَنْظُورِ، وَأَتْبَعَهُ بَصَرَهُ، وَقَابَلَهُ عَلَى تَوَسُّطٍ مِنَ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرَاهُ، فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ كَلَامَهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ. اهـ من "مدارج السالكين" (١/ ٤٤١).

❊❊❊

# مفسدات القلب

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **الْمُفْسِدُ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْخُلْطَةِ.**

وَأَمَّا مُفْسِدَاتُ الْقَلْبِ الْخَمْسَةُ فَهِيَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا: مِنْ كَثْرَةِ الْخُلْطَةِ وَالتَّمَنِّي، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ، وَالشِّبَعِ، وَالْمَنَامِ، فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ مِنْ أَكْبَرِ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ.

فَنَذْكُرُ آثَارَهَا الَّتِي اشْتَرَكَتْ فِيهَا، وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا.

اعْلَمْ أَنَّ الْقَلْبَ يَسِيرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيَكْشِفُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَنَهْجِهِ، وَآفَاتِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ، وَقِطَاعِ الطَّرِيقِ بِنُورِهِ وَحَيَاتِهِ وَقُوَّتِهِ، وَصِحَّتِهِ وَعَزْمِهِ، وَسَلَامَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَغَيْبَةِ الشَّوَاغِلِ وَالْقَوَاطِعِ عَنْهُ، وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ تُطْفِئُ نُورَهُ، وَتُعْوِرُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ، وَتُثْقِلُ سَمْعَهُ، إِنْ لَمْ تَصُمَّهُ وَتُبْكِمْهُ وَتُضْعِفُ قُوَاهُ كُلَّهَا، وَتُوهِنُ صِحَّتَهُ وَتُفَتِّرُ عَزِيمَتَهُ، وَتُوقِفُ هِمَّتَهُ، وَتُنَكِّسُهُ إِلَى وَرَائِهِ، وَمَنْ لَا شُعُورَ لَهُ بِهَذَا فَمَيِّتُ الْقَلْبِ، وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ، فَهِيَ عَائِقَةٌ لَهُ عَنْ نُبْلِ كَمَالِهِ. قَاطِعَةٌ لَهُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ. وَجُعِلَ نَعِيمُهُ وَسَعَادَتُهُ وَابْتِهَاجُهُ وَلَذَّتُهُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَإِنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ وَلَا لَذَّةَ، وَلَا ابْتِهَاجَ، وَلَا كَمَالَ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ بِقُرْبِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، فَهَذِهِ جَنَّتُهُ الْعَاجِلَةُ، كَمَا أَنَّهُ لَا نَعِيمَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِجِوَارِهِ فِي دَارِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ، فَلَهُ جَنَّتَانِ لَا يَدْخُلُ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا إِنْ لَمْ يَدْخُلِ الْأُولَى.

**وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ** رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «**إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ**».

**وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:** إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ، أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

**وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ:** مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قَالُوا: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ.

وَكُلُّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ يَشْهَدُ هَذَا وَيَعْرِفُهُ ذَوْقًا.

**وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْخَمْسَةُ:** قَاطِعَةٌ عَنْ هَذَا، حَائِلَةٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَهُ، عَائِقَةٌ لَهُ عَنْ سَيْرِهِ، وَمُحْدِثَةٌ لَهُ أَمْرَاضًا وَعِلَلًا إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهَا الْمَرِيضُ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْهَا.

فَأَمَّا مَا تُؤْثِرُهُ كَثْرَةُ الْخُلْطَةِ: فَامْتِلَاءُ الْقَلْبِ مِنْ دُخَانِ أَنْفَاسِ بَنِي آدَمَ حَتَّى يَسْوَدَّ، يُوجِبُ لَهُ تَشَتُّتًا وَتَفَرُّقًا، وَهَمًّا وَغَمًّا، وَضَعْفًا، وَحَمْلًا لِمَا يَعْجِزُ عَنْ

حَمْلِهِ مِنْ مُؤْنَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَإِضَاعَةِ مَصَالِحِهِ، وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِهِمْ وَبِأُمُورِهِمْ، وَتَقَسُّمِ فِكْرِهِ فِي أَوْدِيَةِ مَطَالِبِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنْهُ لِلَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ؟.

هَذَا، وَكَمْ جَلَبَتْ خُلْطَةُ النَّاسِ مِنْ نِقْمَةٍ، وَدَفَعَتْ مِنْ نِعْمَةٍ؟ وَأَنْزَلَتْ مِنْ مِحْنَةٍ، وَعَطَّلَتْ مِنْ مِنْحَةٍ، وَأَحَلَّتْ مِنْ رَزِيَّةٍ، وَأَوْقَعَتْ فِي بَلِيَّةٍ؟ وَهَلْ آفَةُ النَّاسِ إِلَّا النَّاسُ؟ وَهَلْ كَانَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْوَفَاةِ أَضَرَّ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ؟ لَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى حَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تُوجِبُ لَهُ سَعَادَةَ الْأَبَدِ.

وَهَذِهِ الْخُلْطَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوْعِ مَوَدَّةٍ فِي الدُّنْيَا، وَقَضَاءِ وَطَرِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ تَنْقَلِبُ إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ عَدَاوَةً، وَيَعَضُّ الْمُخْلِطُ عَلَيْهَا يَدَيْهِ نَدَمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

وَقَالَ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٢٥].

وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مُشْتَرِكِينَ فِي غَرَضٍ، يَتَوَادُّونَ مَا دَامُوا مُتَسَاعِدِينَ عَلَى حُصُولِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ الْغَرَضُ، أَعْقَبَ نَدَامَةً وَحُزْنًا وَأَلَمًا، وَانْقَلَبَتْ تِلْكَ الْمَوَدَّةُ بُغْضًا وَلَعْنَةً، وَذَمًّا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لَمَّا انْقَلَبَ ذَلِكَ الْغَرَضُ حُزْنًا وَعَذَابًا، كَمَا يُشَاهَدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي خِزْيِهِ، إِذَا أُخِذُوا وَعُوقِبُوا، فَكُلُّ مُتَسَاعِدِينَ عَلَى بَاطِلٍ، مُتَوَادِّينَ عَلَيْهِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْقَلِبَ مَوَدَّتُهُمَا بُغْضًا وَعَدَاوَةً، وَالضَّابِطُ النَّافِعُ فِي أَمْرِ الْخُلْطَةِ أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ كَالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْأَعْيَادِ وَالْحَجِّ، وَتَعَلُّمِ الْعِلْمِ، وَالْجِهَادِ، وَالنَّصِيحَةِ وَيَعْتَزِلَهُمْ فِي الشَّرِّ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ، فَإِنْ دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى خُلْطَتِهِمْ فِي الشَّرِّ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ اعْتِزَالُهُمْ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَنْ يُوَافِقَهُمْ، وَلْيَصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْذُوهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ، وَلَكِنْ أَذًى يَعْقُبُهُ عِزٌّ وَمَحَبَّةٌ

لَهُ وَتَعْظِيمٌ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمُوَافَقَتُهُمْ يَعْقُبُهَا ذُلٌّ وَبُغْضٌ لَهُ، وَمَقْتٌ، وَذَمٌّ مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالصَّبْرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً، وَأَحْمَدُ مَآلًا، وَإِنْ دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى خُلْطَتِهِمْ فِي فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ، فَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَقْلِبَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ طَاعَةً لِلَّهِ إِنْ أَمْكَنَهُ، وَيُشَجِّعَ نَفْسَهُ وَيُقَوِّيَ قَلْبَهُ، وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى الْوَارِدِ الشَّيْطَانِيِّ الْقَاطِعِ لَهُ عَنْ ذَلِكَ، بِأَنَّ هَذَا رِيَاءٌ وَمَحَبَّةٌ لِإِظْهَارِ عِلْمِكَ وَحَالِكَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلْيُحَارِبْهُ، وَلْيَسْتَعِنْ بِاللهِ، وَيُؤَثِّرْ فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَمْكَنَهُ.

فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ الْمَقَادِيرُ عَنْ ذَلِكَ، فَلْيَسُلَّ قَلْبَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ كَسَلِّ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ، وَلْيَكُنْ فِيهِمْ حَاضِرًا غَائِبًا، قَرِيبًا بَعِيدًا، نَائِمًا يَقْظَانًا، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُبْصِرُهُمْ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا يَعِيهِ، لِأَنَّهُ قَدْ أَخَذَ قَلْبَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَرَقَى بِهِ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى، يَسْبَحُ حَوْلَ الْعَرْشِ مَعَ الْأَرْوَاحِ الْعُلْوِيَّةِ الزَّكِيَّةِ، وَمَا أَصْعَبَ هَذَا وَأَشَقَّهُ عَلَى النُّفُوسِ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَبَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَهُ أَنْ يَصْدُقَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُدِيمَ اللُّجْأَ إِلَيْهِ، وَيُلْقِيَ نَفْسَهُ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا ذَلِيلًا، وَلَا يُعِينُ عَلَى هَذَا إِلَّا مَحَبَّةٌ صَادِقَةٌ، وَالذِّكْرُ الدَّائِمُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَتَجَنُّبُ الْمُفْسِدَاتِ الْأَرْبَعِ الْبَاقِيَةِ الْآتِي ذِكْرُهَا، وَلَا يَنَالُ هَذَا إِلَّا بِعُدَّةٍ صَالِحَةٍ وَمَادَّةٍ

قُوَّةٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ، وَفَرَاغٍ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

## فَصْلٌ الْمُفْسِدُ الثَّانِي مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ رُكُوبُهُ بَحْرَ التَّمَنِّي:

وَهُوَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَهُوَ الْبَحْرُ الَّذِي يَرْكَبُهُ مَفَالِيسُ الْعَالَمِ، كَمَا قِيلَ: إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ، وَبِضَاعَةُ رُكَّابِهِ مَوَاعِيدُ الشَّيَاطِينِ، وَخَيَالَاتُ الْمُحَالِ وَالْبُهْتَانِ، فَلَا تَزَالُ أَمْوَاجُ الْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ، وَالْخَيَالَاتُ الْبَاطِلَةُ، تَتَلَاعَبُ بِرَاكِبِهِ كَمَا تَتَلَاعَبُ الْكِلَابُ بِالْجِيفَةِ، وَهِيَ بِضَاعَةُ كُلِّ نَفْسٍ مَهِينَةٍ خَسِيسَةٍ سُفْلِيَّةٍ، لَيْسَتْ لَهَا هِمَّةٌ تَنَالُ بِهَا الْحَقَائِقَ الْخَارِجِيَّةَ، بَلِ اعْتَاضَتْ عَنْهَا بِالْأَمَانِي الذَّهَبِيَّةِ، وَكُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ مِنْ مُتَمَنٍّ لِلْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، وَلِلضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ وَالتَّطْوَافِ فِي الْبُلْدَانِ، أَوْ لِلْأَمْوَالِ وَالْأَثْمَانِ، أَوْ لِلنِّسْوَانِ وَالْمُرْدَانِ، فَيُمَثِّلُ الْمُتَمَنِّي صُورَةَ مَطْلُوبِهِ فِي نَفْسِهِ وَقَدْ فَازَ بِوُصُولِهَا، وَالْتَذَّ بِالظَّفَرِ بِهَا، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذِ اسْتَيْقَظَ فَإِذَا يَدُهُ وَالْحَصِيرُ.

وَصَاحِبُ الْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ أَمَانِيهِ حَائِمَةٌ حَوْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْ جِوَارِهِ.

فَأَمَانِيُّ هَذَا إِيمَانٌ وَنُورٌ وَحِكْمَةٌ، وَأَمَانِيُّ أُولَئِكَ خُدَعٌ وَغُرُورٌ.

وَقَدْ مَدَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَمَنِّي الْخَيْرِ، وَرُبَّمَا جَعَلَ أَجْرَهُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ كَأَجْرِ فَاعِلِهِ، كَالْقَائِلِ: «**لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ الَّذِي يَتَّقِي فِي مَالِهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَقَّهُ، وَقَالَ " هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ**».(١) وَتَمَنَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَمَتَّعَ وَحَلَّ وَلَمْ يَسُقِ الْهَدْيَ، وَكَانَ قَدْ قَرَنَ، فَأَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ الْقِرَانِ بِفِعْلِهِ، وَثَوَابَ التَّمَتُّعِ الَّذِي تَمَنَّاهُ بِأُمْنِيَتِهِ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْأَجْرَيْنِ.

## فَصْلٌ: الْمُفْسِدُ الثَّالِثُ مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ تَعَالَى:

**وَهَذَا أَعْظَمُ مُفْسِدَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.**

---

(١) **عن أبي كبشة الأنماري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**». **رواه الترمذي** في "سننه" (٥٢٣٢)، **وهو حديث صحيح**، وقد حسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٢٣٢٥).

فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَضُرُّ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا أَقْطَعُ لَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَسَعَادَتِهِ مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى مَا تَعَلَّقَ بِهِ، وَخَذَلَهُ مِنْ جِهَةِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ، وَفَاتَهُ تَحْصِيلُ مَقْصُودِهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِهِ وَالْتِفَاتِهِ إِلَى سِوَاهُ، فَلَا عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ اللهِ حَصَلَ، وَلَا إِلَى مَا أَمَّلَهُ مِمَّنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَصَلَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة مريم:٨١-٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة يس:٧٤-٧٥].

فَأَعْظَمُ النَّاسِ خِذْلَانًا مَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللهِ، فَإِنَّ مَا فَاتَهُ مِنْ مَصَالِحِهِ وَسَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ أَعْظَمُ مِمَّا حَصَلَ لَهُ مِمَّنْ تَعَلَّقَ بِهِ، وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلزَّوَالِ وَالْفَوَاتِ. وَمَثَلُ الْمُتَعَلِّقِ بِغَيْرِ اللهِ كَمَثَلِ الْمُسْتَظِلِّ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ بِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَأَوْهَنِ الْبُيُوتِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَسَاسُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللهِ، وَلِصَاحِبِهِ الذَّمُّ وَالْخِذْلَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [سورة الإسراء:٢٢].

مَذْمُومًا لَا حَامِدَ لَكَ، مَخْذُولًا لَا نَاصِرَ لَكَ، إِذْ قَدْ يَكُونُ بَعْضُ النَّاسِ مَقْهُورًا مَحْمُودًا كَالَّذِي قُهِرَ بِبَاطِلٍ، وَقَدْ يَكُونُ مَذْمُومًا مَنْصُورًا، كَالَّذِي قُهِرَ وَتُسُلِّطَ عَلَيْهِ بِبَاطِلٍ، وَقَدْ يَكُونُ مَحْمُودًا مَنْصُورًا كَالَّذِي تَمَكَّنَ وَمَلَكَ بِحَقٍّ، وَالْمُشْرِكُ الْمُتَعَلِّقُ بِغَيْرِ اللهِ قِسْمُهُ أَرْدَأُ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ، لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَنْصُورٌ.

## فَصْلٌ: الْمُفْسِدُ الرَّابِعُ مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ الطَّعَامُ:

**وَالْمُفْسِدُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ نَوْعَانِ:** أَحَدُهُمَا مَا يُفْسِدُهُ لِعَيْنِهِ وَذَاتِهِ كَالْمُحَرَّمَاتِ، **وَهِيَ نَوْعَانِ:** مُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ اللهِ، كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَذِي النَّابِ مِنَ السِّبَاعِ وَالْمِخْلَبِ مِنَ الطَّيْرِ، وَمُحَرَّمَاتٌ لِحَقِّ الْعِبَادِ، كَالْمَسْرُوقِ وَالْمَغْصُوبِ وَالْمَنْهُوبِ، وَمَا أُخِذَ بِغَيْرِ رِضَا صَاحِبِهِ، إِمَّا قَهْرًا وَإِمَّا حَيَاءً وَتَذَمُّمًا.

**وَالثَّانِي:** مَا يُفْسِدُهُ بِقَدْرِهِ وَتَعَدِّي حَدِّهِ، كَالْإِسْرَافِ فِي الْحَلَالِ، وَالشِّبَعِ الْمُفْرِطِ، فَإِنَّهُ يُثْقِلُهُ عَنِ الطَّاعَاتِ، وَيَشْغَلُهُ بِمُزَاوَلَةِ مُؤْنَةِ الْبِطْنَةِ وَمُحَاوَلَتِهَا، حَتَّى يَظْفَرَ بِهَا، فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا شَغَلَهُ بِمُزَاوَلَةِ تَصَرُّفِهَا وَوِقَايَةِ ضَرَرِهَا، وَالتَّأَذِّي بِثِقَلِهَا، وَقَوَّى عَلَيْهِ مَوَادَّ الشَّهْوَةِ، وَطُرُقَ مَجَارِي الشَّيْطَانِ وَوَسَّعَهَا، فَإِنَّهُ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَالصَّوْمُ يُضَيِّقُ مَجَارِيَهُ وَيَسُدُّ عَلَيْهِ طُرُقَهُ، وَالشِّبَعُ يَطْرُقُهَا وَيُوَسِّعُهَا، وَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا، فَنَامَ كَثِيرًا، فَخَسِرَ كَثِيرًا، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ

يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»

وَيُحْكَى أَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ عَرَضَ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: هَلْ نِلْتَ مِنِّي شَيْئًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ قُدِّمَ إِلَيْكَ الطَّعَامُ لَيْلَةً فَشَهَّيْتُهُ إِلَيْكَ حَتَّى شَبِعْتَ مِنْهُ، فَنِمْتَ عَنْ وِرْدِكَ، فَقَالَ يَحْيَى: لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَشْبَعَ مِنْ طَعَامٍ أَبَدًا، فَقَالَ إِبْلِيسُ: وَأَنَا، لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا أَنْصَحَ آدَمِيًّا أَبَدًا.

## فَصْلٌ الْمُفْسِدُ الْخَامِسُ كَثْرَةُ النَّوْمِ:

الْمُفْسِدُ الْخَامِسُ: كَثْرَةُ النَّوْمِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيُثَقِّلُ الْبَدَنَ، وَيُضِيعُ الْوَقْتَ، وَيُورِثُ كَثْرَةَ الْغَفْلَةِ وَالْكَسَلِ، وَمِنْهُ الْمَكْرُوهُ جِدًّا، وَمِنْهُ الضَّارُّ غَيْرُ النَّافِعِ لِلْبَدَنِ، وَأَنْفَعُ النَّوْمِ مَا كَانَ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَنَوْمُ أَوَّلِ اللَّيْلِ أَحْمَدُ وَأَنْفَعُ مِنْ آخِرِهِ، وَنَوْمُ وَسَطِ النَّهَارِ أَنْفَعُ مِنْ طَرَفَيْهِ، وَكُلَّمَا قَرُبَ النَّوْمُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ قَلَّ نَفْعُهُ، وَكَثُرَ ضَرَرُهُ، وَلَاسِيَّمَا نَوْمُ الْعَصْرِ، وَالنَّوْمُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَّا لِسَهْرَانَ.

وَمِنَ الْمَكْرُوهِ عِنْدَهُمُ النَّوْمُ بَيْنَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُ وَقْتُ غَنِيمَةٍ، وَلِلسَّيْرِ ذَلِكَ الْوَقْتَ عِنْدَ السَّالِكِينَ مَزِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، حَتَّى لَوْ سَارُوا طُولَ لَيْلِهِمْ لَمْ يَسْمَحُوا بِالْقُعُودِ عَنِ السَّيْرِ ذَلِكَ الْوَقْتَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ النَّهَارِ وَمِفْتَاحُهُ، وَوَقْتُ نُزُولِ الْأَرْزَاقِ، وَحُصُولِ الْقَسْمِ، وَحُلُولِ الْبَرَكَةِ، وَمِنْهُ

يَنْشَأُ النَّهَارُ، وَيَنْسَحِبُ حُكْمُ جَمِيعِهِ عَلَى حُكْمِ تِلْكَ الْحِصَّةِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَوْمُهَا كَنَوْمِ الْمُضْطَرِّ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَعْدَلُ النَّوْمِ وَأَنْفَعُهُ نَوْمُ نِصْفِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، وَسُدُسِهِ الْأَخِيرِ، وَهُوَ مِقْدَارُ ثَمَانِ سَاعَاتٍ، وَهَذَا أَعْدَلُ النَّوْمِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ، وَمَا زَادَ عَلَيْهِ أَوْ نَقَصَ مِنْهُ أَثَّرَ عِنْدَهُمْ فِي الطَّبِيعَةِ انْحِرَافًا بِحَسَبِهِ.

وَمِنَ النَّوْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ أَيْضًا النَّوْمُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، عَقِيبَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُهُ. فَهُوَ مَكْرُوهٌ شَرْعًا وَطَبْعًا. (١)

وَكَمَا أَنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ مُورِثَةٌ لِهَذِهِ الْآفَاتِ، فَمُدَافَعَتُهُ وَهَجْرُهُ مُورِثٌ لِآفَاتٍ أُخْرَى عِظَامٍ: مِنْ سُوءِ الْمِزَاجِ وَيُبْسِهِ، وَانْحِرَافِ النَّفْسِ، وَجَفَافِ الرُّطُوبَاتِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْفَهْمِ وَالْعَمَلِ، وَيُورِثُ أَمْرَاضًا مُتْلِفَةً لَا يَنْتَفِعُ صَاحِبُهَا بِقَلْبِهِ وَلَا بَدَنِهِ مَعَهَا، وَمَا قَامَ الْوُجُودُ إِلَّا بِالْعَدْلِ، فَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ مَجَامِعِ الْخَيْرِ، وَبِاللهِ الْمُسْتَعَانُ. اهـ من "مدارج السالكين" (١/ ٤٥٦).

❊❊❊

(١) **متفق عليه**. (خ٥٤٧-م٦٤٧) من حديث **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

# ادع الله أن يثبت قلبي على دينه

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٦٥٤).

وعن أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَقُولَ: «اللهُمَّ مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ». رواه أحمد في "مسنده" (٢٦٥٧٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ١٢٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنِي بِهِ حَتَّى أَلْقَاكَ». رواه الطبراني في "الأوسط" (٦٦١)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣/ ٤٦٣).

# احذر أن تزيغ عن الحق فيزيغ قلبك

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الصف:٥].

❊❊❊

# لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب المؤمن

**عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافراً، ثمّ سدّد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله، وفيح جهنّم، ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد**».**رواه النسائي** في "سننه" (٣١٠٩)، **وابن حبان** في "صحيحه" (٤٦٠٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٨٨٦).

***

# نعوذ اللّه من تقلب القلوب

**قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١١٠].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور:٣٧].

❊❊❊

# لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام اللّه تعالى

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا طَهُرَتْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ». رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٥٢٤).

***

# خطر مجالسة أهل البدع، والأهواء على القلوب

**قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)**. اهـ من "الشرعية للآجري" (٧٠).

**وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما يُدرى أي النعمتين عليَّ أعظم: أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء)**. اهـ من "حلية الأولياء" (٢/ ٢١٨).

**وقال أبو قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)**. اهـ من "سنن الدارمي" (١/ ١٢٠).

**وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: (لرجلين من أصحاب الأهواء وقد دخلا عليه فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن فخرجا، فقال بعض القوم؟: يا أبا بكر، ما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى؟ قال: إني خشيت أن يقرآ علي آية فيحرفاها فيقر ذلك في قلبي)**. اهـ من "سنن الدارمي" (١/ ١٢١).

**وقال أبو عثمان الصابوني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو يصف عقيدة السلف وأصحاب الحديث تجاه أهل البدع: **(ويبغضون أهل البدع، الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم، التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت)**.اهـ من "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (١١٤).

**وقال أبو عبد الله مُحَمَّدٌ بن عبد الله الشهير بـ: ابن أبي زمنين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ يَعِيبُونَ أَهْلَ اَلْأَهْوَاءِ اَلْمُضِلَّةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَيُخَوِّفُونَ فِتْنَتَهُمْ، وَيُخْبِرُونَ بِخَلَاقِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ غِيبَةً لَهُمْ، وَلَا طَعْنًا عَلَيْهِمْ)**.اهـ من "أصول السنة" (٢٩٣).

**وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن السنن المأثورة عن سلف الأمة وأئمتها، وعن إمام السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **التشديد في هجرهم، وإهمالهم، وترك جدالهم، واطراح كلامهم، والتباعد عنهم حسب الإمكان، والتقرب إلى الله بمقتهم، وذمهم، وعيبهم)**.اهـ من "مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣/ ١١١).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد بهجران أهل البدع الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم والسلام عليهم، وزيارتهم وعيادتهم، ونحو ذلك، وهجران أهل البدع واجب لقوله الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [سورة المجادلة:٢٢].

ولأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر كعب بن مالك وصاحبيه [١] حين تخلفوا عن غزة تبوك.اهـ من "شرح لمعة الاعتقاد" (١١٠).

***

(١) **متفق عليه**.(خ٤٤٤٧-م٢٧٦٩) من حديث **كعب بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهي قصة طويلة.

# كثرت الضحك تميت القلب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ»؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: «اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ». رواه الترمذي في "سننه" (٢٣٠٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٠١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قالت عائشة ما رؤى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضاحكًا حتى تبدوا لهواته انما كان يتبسم تبسمًا [١] وهذا لأن كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل بخلاف التبسم فإنه من حسن الخلق وكمال الإدراك وأما صفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الكتب المتقدمة بأنه الضحوك القتال فالمراد به أنه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه إذا كان حداً لله وحقًا له ولا يمنعه ذلك

(١) متفق عليه.(خ٤٨٢٨-م٨٩٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

**عن تبسمه في موضعه فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق وكثرته من الخفة والطيش والاعتدال بين ذلك**.اهـ من "شفاء العليل" (١/ ٧٥).

❊❊❊

# القلب لا يطمئن إلا بذكر الله تعالى

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:٢٨].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد:٢٨].

أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

**وقيل:** إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها،

فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢].

وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقًا عظيمًا. اهـ من "تفسيره" (٤١٧).

***

# هنيئا لمن علق قلبه بالمساجد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». متفق عليه.(خ٦٦٠-م١٠٣١).

الشاهد من الحديث قوله: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ».

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني أنه يألف الصلاة ويحبها وكلما فرغ من صلاة إذا هو يتطلع إلى صلاة أخرى، فالمساجد أماكن السجود، سواء بُنيت للصلاة فيه أم لا، المهم أنه دائمًا يرغب الصلاة قلبه معلق بها؛ كلما فرغ من صلاة تطلع للصلاة الأخرى.

**وهذا يدل على قوة صلته بالله عزّ وجلّ؛ لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، فإذا أحبها الإنسان وألفها فهذا يعني أنه يحب الصلة التي بينه وبين الله، فيكون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.** اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦٤٤).

**قلت: فكن يا أخي من أصحاب الهمم العالية في هذا الجانب وعلق قلبك بالمساجد وما أحسن قيل:**

أحن اشتياقاً للمساجد لا إلى *** قصور وفرش بالطراز توشح
وفيها اعتزال لذ في جانب الهوى *** مجاورة الأسفار للصدر تشرح
فإن شئت تفسيراً مراد محقق *** وإن شئت توحيداً به المرء يُفلح
وإن رمت كتباً للحديث وشرحه *** وجدت ولم يعدوك أنس ومربح
وإن رمت آداباً وتاريخ من مضى *** وجدت وطاب الوقت والفكر يسرح
وإن رمت كتب الفقه أو كتب أصله *** تناولت أحكاماً بها القلب يفرح
وتسلم من قيل وقال ومن أذى *** جليس ومن واش ينم ويجرح
أصلي اشتياقاً للعلى لعلني *** أجد قرة للعين فيها وأفلح
أعاشر فيها الصادقين وركبهم *** أجالسهم والهجر للغير أمنح
والمكثُ فيها عز قلبي حياته *** حياة لأجل الغالي بالدون أسمح.

**وعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الله لَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ**

يُجَاوِرَكَ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ». رواه الحارث بن أسامة في "مسنده" (١٢٦)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ٥١٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ». رواه ابن ماجه في "سننه" (٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ٧٨)، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ٣٠٦) للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال العلامة البيحاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أما المساجد فهي اليوم عامرة *** كأنها من قصور الفرس والروم

ترى على المحارب زخرفة *** تلهيك عن كل منطوق ومفهوم

ولا يصلي بها إلا مؤذنها *** أو الإمام ولكن دون مأموم

وإن رأيت صفوفًا في مساجدنا *** فمن فقير ومسكين ومحروم [1]

***

(١) اهـ من "التاج المكلل فوائد ودروس والدنا العلامة مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ" (٢٨٧).

# الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب

**عَنْ أَبِي ذَرٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ**». **رواه النسائي** في "السنن الكبرى" (١١٧٨٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (١١٧٨٥).

**وعن عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «**إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ**». مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَقَالَ عَمْرٌو: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٧٥٣٥).

**وعن زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ**

لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». رواه ابن ماجه في "سننه" (٤١٠٥)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٤)، والإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصحيح المسند" (١/ ٢٩٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مِنَ الرِّضَا بِالْقَدَرِ: مَلَأَ اللهُ صَدْرَهُ غِنًى وَأَمْنًا وَقَنَاعَةً. وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ. وَمَنْ فَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الرِّضَا: امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِضِدِّ ذَلِكَ. وَاشْتَغَلَ عَمَّا فِيهِ سَعَادَتُهُ وَفَلَاحُهُ، فَالرِّضَا يُفَرِّغُ الْقَلْبَ لِلَّهِ، وَالسُّخْطُ يُفَرِّغُ الْقَلْبَ مِنَ اللهِ). اهـ من "مدارج السالكين" (٢/ ٢٠٢).

***

# من تفرغ لعبادة اللّه ملأ اللّه قلبه غنى وملأ يديه رزقا

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا». رواه الحاكم في "مستدركه" (٧٩٢٦)، وهو حديث صحيح في "الصحيح المسند" (٢/ ١٨٩) للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ. (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ،

---

(١) تنبيه: إن مما هو مشاع ومنتشر عند الناس حديث: «يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تعلب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء». اهـ فهذا لا أصل له في الشرع بل هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد عليها كما نبه على ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجموع فتاواه" (٨/ ٥٢).

**مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»**. **رواه أحمد** في "مسنده" (٨٦٩٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٣/ ٣٤٦).

***

# تأثر القلوب بالموعظة

**عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**». رواه الترمذي في "سننه" (٢٦٧٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦١٠).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**وَعَظَنَا**» الوعظ: التذكير بما يلين القلب سواء كانت الموعظة ترغيبًا أو ترهيبًا، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخول أصحابه بالموعظة أحيانًا.

**وقوله:** «**وَجِلَتْ مِنهَا القُلُوبُ**» أي خافت منها القلوب كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢].

«**وَذَرَفَت مِنهَا العُيون**». أي ذرفت الدموع، وهو كناية عن البكاء.

**إلى أن قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المخاطب بالموعظة إذا كانت بليغة فسوف يتأثر لقوله: «**وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَت مِنهَا العُيونُ**».

القلب إذا خاف بكت العين، وإذا كان قاسيًا، نسأل الله عزّ وجل أن يبعدنا وإياكم من قسوة القلب، لم تدمع العين. اهـ من "شرح الأربعين النووية" (٢٧٤).

***

# العلماء أطيب الناس قلوبا وعيشا

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وسمعت شيخ الإسلام أبن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

**وقال لي مرة:** ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

**وكان يقول في محبسه في القلعة:** لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة.

أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**». [1] ما شاء الله وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى.

---

(١) **رواه أبو داود** في "سننه" (١٣٦٢) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١٣٦٢)، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ١٦٩) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والمأسور من أسره هواه.

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحديد:١٣].

**وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.**

**وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة.**

---

ومن باب الفائدة: فقد جاء هذا الحديث عن ثلاثة من الصحابة وهم: معاذ بن جبل وقد تقدم ذكره.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». رواه البزار في "مسنده" (٢٠٧٥)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٦٦٣)، للإمام الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنا على شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك». رواه أحمد في "مسنده" (٧٩٦٩)، وإسناده صحيح.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

أو نحو هذا.

وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً.

وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب. اهـ من "الوابل الصيب" (٤٨).

***

# أهمية اطمئنان القلب

اطمئنان القلب من أعظم النِّعم التي يمنّ الله بها على عباده، فالقلب إذا اطمأن بذكر الله والإيمان به عاش صاحبه في راحة وسكينة، ولو كثرت حوله الهموم والمشكلات.

فالقلب المطمئن لا تزلزله المصائب، ولا تقوده الشهوات، ولا تسيطر عليه المخاوف؛ لأنه يعلم أن الله هو المدبّر، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [سورة الرعد:٢٨].

فمن أسباب طمأنينة القلب: المحافظة على الصلاة، وكثرة ذكر الله، وحسن التوكل عليه، والرضا بقضائه، والابتعاد عن المعاصي؛ فإن المعاصي تورث قلقًا وضيقًا، والطاعة تورث نورًا وسكينة.

فاحرص على قلبٍ مطمئن، فإن سعادة الإنسان ليست بكثرة المال ولا بكثرة الدنيا، وإنما براحة القلب وسكينته وقربه من الله.

ومن أهمية اطمئنان القلب أيضًا:

إن القلب إذا اطمأن بالله لم تعد الدنيا أكبر همّه، فلا يفرح فرحًا يطغيه عند حصول النعم، ولا يجزع جزعًا يهلكه عند نزول المصائب؛ لأنه يعلم أن الله حكيم رحيم، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه.

والقلب المطمئن لا يكون أسيرًا للغضب والانتقام، بل يكون أقرب إلى العفو والرحمة، وأبعد عن القسوة والظلم، لأن من امتلأ قلبه بالإيمان والسكينة هان عليه أن يترك ما يفسد دينه ودنياه.

أما القلب القلق البعيد عن ذكر الله فإنه قد يبحث عن الراحة في المال أو الجاه أو كثرة الدنيا، ثم لا يجد إلا التعب والاضطراب، لأن راحة القلوب الحقيقية لا تكون إلا بالرجوع إلى الله.

فاجعل لقلبك نصيبًا من الخلوة مع الله، وأكثر من الاستغفار والدعاء، وابتعد عن أسباب قسوة القلب من كثرة الغفلة والمعاصي، فإن القلب إذا صلح صلحت حياة الإنسان كلها.اهـ

❊❊❊

# أعظم العقوبات قسوة القلب

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَا ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة الْقلب والبعد عَن الله خلقت النَّار لإذابة الْقُلُوب القاسية أبعد الْقُلُوب من الله الْقلب القاسي إِذا قسى الْقلب قحطت الْعين قسوة الْقلب من أَرْبَعَة أَشْيَاء إِذا جَاوَزت قدر الْحَاجة الْأكل وَالنَّوْم وَالْكَلَام والمخالطة كَمَا أَن الْبدن إِذا مرض لم ينفع فِيهِ الطَّعَام وَالشرَاب فَكَذَلِك الْقلب إِذا مرض بالشهوات لم تنجع فِيهِ المواعظ وَمن أَرَادَ صفاء قلبه فليؤثر الله على شَهْوَته الْقُلُوب الْمُتَعَلّقَة بالشهوات محجوبة عَن الله بِقدر تعلقهَا بهَا الْقُلُوب آنِية الله فِي أرضه فأحبها إِلَيْهِ أرقها وأصلبها وأصفاها شغلوا قُلُوبهم بالدنيا وَلَو شغلوها بِالله وَالدَّار الْآخِرَة لجالت فِي مَعَاني كَلَامه وآياته المشهودة وَرجعت إِلَى أَصْحَابهَا بِغَرَائِب الحكم وطرف الْفَوَائِد إِذا غذي الْقلب بالتذكر وَسقي بالتفكّر ونقي من الدغل رأى الْعَجَائِب وألهم الْحِكْمَة لَيْسَ كل من تحلى بالمعرفة وَالْحكمَة وانتحلها كَانَ من أَهلهَا بل أهل الْمعرفَة وَالْحكمَة الَّذين أحيوا قُلُوبهم بقتل الْهوى وَأما

من قتل قلبه فأحيى الْهوى الْمعرفَة وَالْحكمَة عَارِية على لِسَانه خراب الْقلب من الْأَمْن والغفلة وعمارته من الخشية وَالذكر إِذا زهدت الْقُلُوب فِي مَوَائِد الدُّنْيَا قعدت على مَوَائِد الْآخِرَة بَين أهل تِلْكَ الدعْوَة وَإِذا رضيت بموائد الدُّنْيَا فاتتها تِلْكَ الموائد الشوق إِلَى الله ولقائه نسيم يهب على الْقلب يروح عَنهُ وهج الدُّنْيَا من وطّن قلبه عِنْد ربه سكن واستراح وَمن أرْسلهُ فِي النَّاس اضْطربَ وَاشْتَدَّ بِهِ القلق لَا تدخل محبَّة الله فِي قلب فِيهِ حب الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا يدْخل الْجمل فِي سم الابرة اذ أحب الله عبدا اصطنعه لنَفسِهِ واجتباه لمحبته واستخلصه لعبادته فشغل همه بِهِ وَلسَانه بِذكرِهِ وجوارحه بخدمته وَالْقلب يمرض كَمَا يمرض الْبدن وشفاؤه فِي التَّوْبَة وَالْحمية ويصدأ كَمَا تصدأ الْمرْآة وجلاؤه بِالذكر ويعرى كَمَا يعرى الْجِسْم وزينته التَّقْوَى ويجوع ويظمأ كَمَا يجوع الْبدن وَطَعَامه وَشَرَابه الْمعرفَة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة إياك والغفلة عَمَّن جعل لحياتك أَجَلًا ولأيامك وأنفاسك أمدا وَمن كل مَا سواهُ بُد وَلَا بذلك مِنْهُ من ترك الِاخْتِيَار وَالتَّدْبِير فِي طلب زِيَادَة دنيا أَو جاه أَو فِي خوف نُقْصَان أَو فِي التَّخَلُّص من عَدو توكلا على الله وثقة بتدبيره لَهُ وَحسن اخْتِيَاره لَهُ فَألْقى كنفه بَين يَدَيْهِ وَسلم الْأَمر إِلَيْهِ وَرَضي بِمَا يَقْضِيه لَهُ استراح من الهموم والغموم وَالْأَحْزَان وَمن أَبى إِلَّا تَدْبيره لنَفسِهِ وَقع فِي النكد وَالنّصب وَسُوء

الْحَال والتعب فَلَا عَيْش يصفو وَلَا قلب يفرح وَلَا عمل يزكو وَلَا أمل يقوم وَلَا رَاحَة تدوم وَالله سُبْحَانَهُ سهّل لخلقه السَّبِيل إِلَيْهِ وحجبهم عَنهُ بِالتَّدْبِيرِ فَمن رَضِي بتدبير الله لَهُ وَسكن إِلَى اخْتِيَاره وسلّم لحكمه أَزَال ذَلِك الْحجاب فأفضى الْقلب إِلَى ربه وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَسكن المتَوَكل لَا يسْأَل غير الله وَلَا يرد على الله وَلَا يدّخر مَعَ الله من شغل بِنَفسِهِ شغل عَن غَيره وَمن شغل بربه شغل عَن نَفسه الْإِخْلَاص هُوَ مَا لَا يُعلمهُ ملك فيكتبه وَلَا عَدو فيفسده وَلَا يعجب بِهِ صَاحبه فيبطله الرِّضَا سُكُون الْقلب تَحت مجاري الْأَحْكَام النَّاس فِي الدُّنْيَا معذّبون على قدر هممهم بهَا للقلب سِتَّة مَوَاطِن يجول فِيهَا لَا سَابِع لَهَا ثَلَاثَة سافلة وَثَلَاثَة عالية فالسافلة دنيا تزين لَهُ وَنَفس تحدثه وعدو يوسوس لَهُ فَهَذِهِ مَوَاطِن الْأَرْوَاح السافلة الَّتِي لَا تزَال تجول فِيهَا وَالثَّلَاثَة الْعَالِيَة علم يتَبَيَّن لَهُ وعقل يرشده وإله يعبده والقلوب جوّالة فِي هَذِه المواطن إتباع لهوى وَطول الأمل مَادَّة كل فَسَاد فَإِن اتِّبَاع الْهوى يعمي عَن الْحق معرفَة وقصدا وَطول الأمل ينسي الْآخِرَة ويصد عَن الاستعداد لَهَا لَا يشم عبد رَائِحَة الصدْق ويداهن نَفسه أَو يداهن غَيره إِذا أَرَادَ الله بِعَبْد خيراً جعله معترفًا بِذَنبِهِ ممسكًا عَن ذَنْب غَيره جوادا بِمَا عِنْده زاهدا فِيمَا عِنْده مُحْتملا لأَذى غَيره وَإِن أَرَادَ بِهِ شرا عكس ذَلِك عَلَيْهِ الهمّة العليّة لَا تزَال حائمة حول ثَلَاثَة أَشْيَاء تعرف لصفة

من الصِّفَات الْعليا تزداد بمعرفتها محبَّة وَإِرَادَة وملاحظة لمنة تزداد بملاحظتها شكر اَوْ اطاعة وتذكر لذنب تزداد بتذكره تَوْبَة وخشية فَإِذا تعلّقت الهمّة بسوى هَذِه الثَّلَاثَة جالت فِي أَوديَة الوساوس والخطرات من عشق الدُّنْيَا نظرت إِلَى قدرهَا عِنْده فصيرته من خدمها وعبيدها وأذلّته وَمن أعرض عَنْهَا نظرت إِلَى كبر قدره فخدمته وذلّت لَهُ إِنَّمَا يقطع السّفر ويصل الْمُسَافِر بِلُزُوم الجادّة وسير اللَّيْل فَإِذا حاد الْمُسَافِر عَن الطَّرِيق ونام اللَّيْل كُله فَمَتَى يصل إِلَى مقْصده.اهـ

من "الفوائد" (٩٧).

❊❊❊

# نعوذ بالله من قسوة القلوب

إياك وقسوة القلب؛ فإن القلب إذا قسا ابتعد عن ذكر الله، وضعف تأثره بالموعظة، واستصغر الذنوب، وربما يرى الخطأ صوابًا والمعصية أمرًا هيّنًا.

فاحرص على حياة قلبك بكثرة ذكر الله، وتلاوة القرآن، وسماع المواعظ، ومجالسة الصالحين، والتفكر في الموت والآخرة، والإحسان إلى الناس؛ فإن الرحمة واللين من علامات حياة القلب.

واعلم أن القلب يصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤه ذكر الله وطاعته، فاسأل الله دائمًا قلبًا خاشعًا، وعينًا دامعة، ونفسًا مقبلة على الخير.

فطوبى لمن رقّ قلبه لله، وبكى من خشيته، وسارع إلى التوبة قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم.

واعلم أن قسوة القلب من أعظم الآفات التي تصيب الإنسان؛ لأنها تحرمه لذة الإيمان وحلاوة الطاعة، وتجعل صاحبه يعيش بعيدًا عن معاني الرحمة والخشوع والإنابة إلى الله.

فالقلب القاسي لا يتألم عند سماع المواعظ، ولا يحزن على فوات الطاعات، ولا يخاف من الوقوع في المعاصي، حتى يصبح الإنسان يرى تقصيره ولا يبالي، ويسمع الحق ولا ينتفع به.

وقد يكون سبب قسوة القلب كثرة الذنوب، والغفلة عن ذكر الله، والتعلق المفرط بالدنيا، وكثرة الانشغال بما لا ينفع، وقلة محاسبة النفس.

فعالج قلبك قبل أن يزداد قسوة؛ وأكثر من الاستغفار، وأكثر من ذكر الله، واجعل لك نصيبًا من القرآن في كل يوم، وتفكر في سرعة زوال الدنيا، وتذكر الوقوف بين يدي الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولا تجعل بينك وبين ربك حجابًا من الغفلة والمعاصي؛ فإن صلاح العبد يبدأ من صلاح قلبه، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح، وإذا فسد القلب فسدت الأعمال.

فطوبى لمن راقب قلبه، وسعى في إصلاحه، وخاف أن يلقى الله بقلب غافل قاسٍ. نسأل الله أن يلين قلوبنا بذكره، وأن يرزقنا قلوبًا خاشعة مطمئنة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ

فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة البقرة:٧٤].

**قال الله العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها: ﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست "أو "بمعنى "بل "ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ فبهذه الأمور فضلت قلوبكم. ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ بل هو عالم بها حافظ لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.اهـ من "تفسيره" (٥٥).

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الزمر:٢٢].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الزمر:٤٥].

❊❊❊

# علاج قسوة القلوب

## من أسباب علاج قسوة القلب التداوي بالقرآن الكريم:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء:٨٢].

**قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وَالصَّحِيحُ: أَنَّ: «مِنْ» هَاهُنَا، لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧].

فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤَهَّلُ وَلَا يُوَفَّقُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِيَ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءِ شُرُوطِهِ، لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا.

وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لَقَطَّعَهَا، فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ

إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدِّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحَمِيَّةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ فَهْمًا فِي كِتَابِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَى الطِّبِّ بَيَانُ إِرْشَادِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَى أُصُولِهِ وَمَجَامِعِهِ الَّتِي هِيَ حِفْظُ الصِّحَّةِ وَالْحِمْيَةُ، وَاسْتِفْرَاغُ الْمُؤْذِي، وَالِاسْتِدْلَالُ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ.

وَأَمَّا الْأَدْوِيَةُ الْقَلْبِيَّةُ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا مُفَصَّلَةً، وَيَذْكُرُ أَسْبَابَ أَدْوَائِهَا وَعِلَاجَهَا.

قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة العنكبوت:٥١].

**فَمَنْ لَمْ يَشْفِهِ الْقُرْآنُ، فَلَا شَفَاهُ اللهُ، وَمَنْ لَمْ يَكْفِهِ فَلَا كَفَاهُ اللهُ.**اهـ من "زاد المعاد" (٤/ ٣٢٣).

**وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْمَلُ فِي أَمْرَاضِ الْفُؤَادِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَسَلُ فِي عِلَلِ الأَجْسَادِ، مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ لأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ شَافِيَةٌ، وَأَدِلَّةُ الْقُرْآنِ لِطَلَبِ الْهُدَى كافية، أين السالكون طريق السلامة والعافية، مالي أَرَى السُّبُلَ مِنَ الْقَوْمِ عَافِيَةً**».اهـ من "كتابه التبصرة" (١/ ٧٩).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِفَاءٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ**

السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَشْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ). اهـ من "الداء والدواء" (٨).

**وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها، وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل). اهـ من "تفسيره" (١/ ١٥٧).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والشفاء هنا شامل الشفاء من أمراض القلوب وأمراض الأجسام). اهـ من "فتاوى نور على الدرب" (٤/ ٢).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [سورة فصلت:٤٤].

**وقال ابن أبي شيبة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مصنفه" (٢٣٦٨٩): حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ**». **رواه الحاكم** في "مستدركه" (٨٢٢٥)، وهو صحيح موقوف.

**وقال إبراهيم الخواص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين)**. اهـ من "صفة الصفوة" (٢٩٩).

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَفِيهِ مِنْ الْبَيِّنَاتِ مَا يُزِيلُ الْحَقَّ مِنْ الْبَاطِلِ فَيُزِيلُ أَمْرَاضَ الشُّبْهَةِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِلْمِ وَالتَّصَوُّرِ وَالْإِدْرَاكِ بِحَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ مَا يُوجِبُ صَلَاحَ الْقَلْبِ فَيَرْغَبُ الْقَلْبُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْغَبُ عَمَّا يَضُرُّهُ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مُحِبًّا لِلرَّشَادِ مُبْغِضًا لِلْغَيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُرِيدًا لِلْغَيِّ مُبْغِضًا لِلرَّشَادِ، فَالْقُرْآنُ مُزِيلٌ لِلْأَمْرَاضِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ حَتَّى يَصْلُحَ الْقَلْبُ فَتَصْلُحُ إرَادَتُهُ وَيَعُودُ إلَى فِطْرَتِهِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا كَمَا يَعُودُ الْبَدَنُ إلَى

الْحَالِ الطَّبِيعِيِّ وَيَغْتَذِي الْقَلْبُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ بِمَا يُزَكِّيهِ وَيُؤَيِّدُهُ كَمَا يَغْتَذِي الْبَدَنُ بِمَا يُنَمِّيهِ وَيُقَوِّمُهُ). اهـ من "مجموع فتاواه" (١٠/ ٩٥).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إن قسوة القلب لها دواء وهو الإكثار من قراءة القرآن، دليل ذلك قول الله عز وجل:** ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الحشر:٢١].

**والجبل كما نعلم حجارة صماء لو نزل القرآن عليها لخشع وتصدع، كذلك القلب إذا ورد عليه القرآن وقرأ الإنسان بتفكر وتمعن فلا بد أن يؤثر في قلبه، واسمع إلى قول الله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [سورة ق:٣٧]. اهـ من "اللقاء الشهري" (٧٢/ ٢٣).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعمل شيئين: **الأمر الأول:** الإكثار من قراءة القرآن، فإن الله تعالى يقول في هذا القرآن: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} [الحشر:٢١] ولا أظن شيئاً أشد قسوة من الحجارة، ومع ذلك لو نزل عليها هذا القرآن لرأيت الجبل خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وفي ذلك يقول ابن عبد القوي رحمه الله:

وحافظ على درس القرآن فإنه يلين قلباً قاسياً مثل جلمدي

ولكن ليس المراد مجرد التلاوة مع غفلة القلب، بل التلاوة مع استحضار القلب وتدبره؛ فإن ذلك لا شك يلين القلب على كل حال.

**الأمر الثاني:** ذكر الله عز وجل: التهليل التكبير التسبيح التحميد ما أشبه ذلك، بشرط: أن يتواطأ القلب واللسان، لأن مدار الحياة على القلب، فإذا حيا القلب حيا الجسم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [سورة الكهف:٢٨].

ولم يقل: ولا تطع من أسكتنا لسانه عن ذكرنا، بل قال: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ وكم من إنسان يذكر بلسانه لكن قلبه لاهٍ، فالذكر حينئذٍ يكون ضعيفًا وأثره رديء، لكن إذا اجتمع القلب واللسان فهذا مما يسبب حياة القلب ولين القلب، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [سورة الزمر:٢٣].

نسأل الله لنا ولكم الهداية، وأن يلين قلوبنا لذكره وطاعته، وأن يجعلنا هداة مهتدين وصالحين مصلحين إنه على كل شيء قدير. اهـ من "اللقاء الشهري" (٢٤/ ٢١).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك أيضاً في تأثيره على القلب، فإن الإنسان إذا قرأه بتدبر فإنه يلين القلب، ويوجه الإنسان إلى ربه، ويوجد طعماً عجيباً للإيمان، **قال ابن عبد القوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في داليته المشهورة:

وحافظ على درس القرآن فإنه *** يلين قلباً قاسياً مثل جلمد

فهذه من آيات القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحديد:١٦].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر:٢٣].

وهذه من آيات القرآن.

ومن آيات القرآن الإصلاح التام إذا تمسكت به الأمة، فلا سبيل إلى إصلاح الأمة إلا بالقرآن، قال الله تعالى عن نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم:٤].

**وقالت عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**كان خلقه القرآن**». (١) فصلاح الأمة بهذا القرآن، فبالقرآن تجد الأمة صالحة؛ كلمة واحدة، يد واحدة، جسد واحد، روح واحد.

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٧٤٦) من حديث **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

وهذا الأثر العظيم من آيات القرآن. اهـ من "شرح العقيدة السفارينية" (١/ ٥٤٢).

**وكما قيل: مهما طلبت من الأطباء أن يزول عنك ما في قلبك فلن تجد مثل القرآن.**

**وكما قيل: ليس لشفاء القلوب دواء قط أنفع من القرآن.**

**من أسباب علاج قسوة القلب أداء الصلاة:**

**قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصَّلَاةُ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ، حَافِظَةٌ لِلصِّحَّةِ، دَافِعَةٌ لِلْأَذَى، مَطْرَدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ، مُقَوِّيَةٌ لِلْقَلْبِ، مُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، مُفْرِحَةٌ لِلنَّفْسِ، مُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ، مُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ، مُمِدَّةٌ لِلْقُوَى، شَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ، مُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ، مُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ، حَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، دَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، جَالِبَةٌ لِلْبَرَكَةِ، مُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ.**

**وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ الْمُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ.**

وَلِلصَّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ). اهـ من "الطب النبوي" (١/ ٢٥٠).

## من أسباب علاج قسوة القلب الصوم:

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ أَدْوَاءِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، مَنَافِعُهُ تَفُوتُ الْإِحْصَاءَ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الصِّحَّةِ، وَإِذَابَةِ الْفَضَلَاتِ، وَحَبْسِ النَّفْسِ عَنْ تَنَاوُلِ مُؤْذِيَاتِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ بِاعْتِدَالٍ وَقَصْدٍ فِي أَفْضَلِ أَوْقَاتِهِ شَرْعًا، وَحَاجَةُ الْبَدَنِ إليه طبعا.

ثُمَّ إِنَّ فِيهِ مِنْ إِرَاحَةِ الْقُوَى وَالْأَعْضَاءِ مَا يَحْفَظُ عَلَيْهَا قُوَاهَا، وَفِيهِ خَاصِّيَّةٌ تَقْتَضِي إِيثَارَهُ، وَهِيَ تَفْرِيحُهُ لِلْقَلْبِ عَاجِلًا وَآجِلًا، وَهُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِأَصْحَابِ الْأَمْزِجَةِ الْبَارِدَةِ وَالرَّطْبَةِ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حِفْظِ صِحَّتِهِمْ.

وَهُوَ يَدْخُلُ فِي الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا رعى الصَّائِمُ فِيهِ مَا يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهُ طَبْعًا وَشَرْعًا، عَظُمَ انْتِفَاعُ قَلْبِهِ وَبَدَنِهِ بِهِ، وَحَبَسَ عَنْهُ الْمَوَادَّ الْغَرِيبَةَ الْفَاسِدَةَ الَّتِي هُوَ مُسْتَعِدٌّ لَهَا، وَأَزَالَ الْمَوَادَّ الرَّدِيئَةَ الْحَاصِلَةَ بِحَسَبِ كَمَالِهِ وَنُقْصَانِهِ، وَيَحْفَظُ الصَّائِمَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى قِيَامِهِ بِمَقْصُودِ الصَّوْمِ وَسِرِّهِ وَعِلَّتِهِ الْغَائِيَّةِ، فَإِنَّ الْقَصْدَ مِنْهُ أَمْرٌ آخَرُ وَرَاءَ تَرْكِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبِاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْأَمْرِ اخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ بِأَنَّهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمَّا كَانَ وِقَايَةً وَجُنَّةً بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ مَا يُؤْذِي قَلْبَهُ وَبَدَنَهُ عَاجِلًا وَآجِلًا، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣].

فَأَحَدُ مَقْصُودَيِ الصِّيَامِ الْجُنَّةُ وَالْوِقَايَةُ، وَهِيَ حِمْيَةٌ عَظِيمَةُ النَّفْعِ، وَالْمَقْصُودُ الْآخَرُ: اجْتِمَاعُ الْقَلْبِ وَالْهَمِّ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَتَوْفِيرُ قُوَى النَّفْسِ عَلَى محبته وَطَاعَتِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي بَعْضِ أَسْرَارِ الصَّوْمِ عِنْدَ ذِكْرِ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.اهـ من "الطب النبوي" (١/ ٢٥٢).

**من أسباب علاج قسوة القلب إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم:**

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا، شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٧٥٧٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٥٠٧).

**من أسباب علاج قسوة القلب الإخلاص لله تعالى:**

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَالْمُؤْمِنُ الْمُخْلِصُ لِلَّهِ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَنْعَمِهِمْ بَالًا، وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا، وَأَسَرِّهِمْ قَلْبًا، وَهَذِهِ جَنَّةٌ عَاجِلَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ الْآجِلَةِ**).اهـ من "الجواب الكافي" (١٩٧).

**من أسباب علاج قسوة القلب الدعاء:**

**وقال هرم بن حيان لأويس القرني** رَحِمَهُ اللَّهُ: أوصني قال: (**توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك، ونيتك، فلن تعالج شيئًا أشد عليك منهما**). اهـ من "صفة الصفوة" (٢/ ٣١).

**وقال ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعليك الدُّعاء فالله يشفي *** ليس شافٍ سواه من كلِّ داء

نعم عون العليل توبة صدق *** وكذا البرُّ جالبٌ للشفاء (١)

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [سورة ص: ٤٢].

**قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به والساعد ساعد قوي، والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر).** اهـ من "الداء والدواء" (٨).

**وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمَرْضَى أَوْ أَكْثَرُ الْمَرْضَى يَشْفُونَ بِلَا تَدَاوٍ لَا سِيَّمَا فِي أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْقُرَى وَالسَّاكِنِينَ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ يَشْفِيهِمْ**

(١) اهـ من "بهجة المجالس" (١/ ٨٥).

اللهُ بِمَا خَلَقَ فِيهِمْ مِنْ الْقُوَى الْمَطْبُوعَةِ فِي أَبْدَانِهِمْ الرَّافِعَةِ لِلْمَرَضِ وَفِيمَا يُيَسِّرُهُ لَهُمْ مِنْ نَوْعِ حَرَكَةٍ وَعَمَلٍ أَوْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ أَوْ رُقْيَةٍ نَافِعَةٍ أَوْ قُوَّةٍ لِلْقَلْبِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ غَيْرِ الدَّوَاءِ). اهـ من "مجموع الفتاوى" (٢١/ ٥٦٣).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الدُّعَاءُ سَبَبٌ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ فَإِذَا كَانَ أَقْوَى مِنْهُ دَفَعَهُ وَإِنْ كَانَ سَبَبُ الْبَلَاءِ أَقْوَى لَمْ يَدْفَعْهُ لَكِنْ يُخَفِّفُهُ وَيُضْعِفُهُ وَلِهَذَا أُمِرَ عِنْدَ الْكُسُوفِ وَالْآيَاتِ بِالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ). اهـ من "مجموع فتاواه" (٨/ ١٩٦).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

**قلت:** وينبغي على المريض أن يدعو الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى وهو لفظ الجلالة الله على الصحيح من أقوال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

**بدليل حديث: بُرَيْدَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٤٩٤)، **والترمذي** في "سننه" (٣٤٧٥)، **وابن ماجه** في "سننه" (٣٨٥٧)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ١٣١) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

**ورجح ذلك الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وشيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله وهذا القول هو القول الصحيح أن الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة:(الله).**

**ومن أهل العلم** رَحِمَهُمُ اللَّهُ **من قال أن الاسم الأعظم هو الحي القيوم وهو قول شيخ الإسلام وابن القيم** رَحِمَهُمَا اللَّهُ. **واستدلوا بحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٣٨٥٨)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٩١) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال لي شيخنا يوما لهذين الاسمين وهما الحي القيوم تأثير عظيم في حياة القلب وكان يشير إلى أنهما الاسم الأعظم)**.اهـ من "المستدرك على مجموع الفتاوى" (١/ ١٧٧).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فأخبر أن هذا هو الاسم الأعظم لما تضمنه من الحمد والثناء والمجد والتوحيد ولمحبة الرب تعالى لذلك أجاب من دعا به)**.اهـ من "الصواعق المرسلة" (١٤٨٧).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ تُضَادُّ جَمِيعَ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ، وَلِهَذَا لَمَّا كَمُلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ. وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ تَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ، وَتُنَافِي الْقَيُّومِيَّةَ، فَكَمَالُ الْقَيُّومِيَّةِ لِكَمَالِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيُّ الْمُطْلَقُ التَّامُّ الْحَيَاةِ لَا تَفُوتُهُ صِفَةُ الْكَمَالِ الْبَتَّةَ، وَالْقَيُّومُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمْكِنٌ الْبَتَّةَ، فَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ الْقَيُّومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ، وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ)**.اهـ من "زاد المعاد" (٤/ ١٨٧).

**قلت: ومما ينبغي على المسلم أن يحرص عليه له دعاء الله في سائر أوقاته وخصوصًا الأوقات التي يستجيب الله فيها الدعاء:**

**ومن ذلك: في آخر ساعة من ساعات الجمعة**

**فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»، وَقَالَ بِيَدِهِ: يُقَلِّلُهَا يُزَهِّدُهَا. **متفق عليه**.(خ٩٣٥-م٨٥٢).

**قال ابن عساكر** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال زكريا بن عدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كان الصلت بن بسطام التميمي** رَحِمَهُ اللَّهُ **يجلس في حلقة أبي جناب يدعون بعد العصر يوم الجمعة، فجلسوا يومًا يدعون، وكان قد نزل الماء في عينيه فذهب بصره، فدعوا وذكروا بصره في دعائهم، فلما كان قبل غروب الشمس عطس عطسة فإذا هو يبصر بعينيه، وإذا قد رد الله عليه بصره. قال زكريا: فقال لي ابنه: قال لي حفص بن غياث: أنا رأيت الناس عشيت يومئذ يخرجون من المسجد مع أبيك يهنئونه)**.اهـ من "تاريخ دمشق" (٢٧/ ٢٣١).

**وكان طاووس** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذا صلى العصر يوم الجمعة، استقبل القبلة ولم يكلم أحدا حتى تغرب الشمس)**.اهـ من "تاريخ واسط" (١/ ١٨٦).

**وقَالَ الحارث بْن مسكين** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(رأيت المفضل بْن فضالة** رَحِمَهُ اللَّهُ **إِذَا صلى الجمعة جلس إِلَى صلاة العصر في المسجد فإذا صلى العصر خلا في ناحية المسجد وحده فلا يزال يدعو حتى تغرب الشمس)**.اهـ من "أخبار القضاة" (٣/ ٢٣٨).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ)**.اهـ من "زاد المعاد" (١/ ٣٨٢).

**وقال ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَكَانَتْ فَاطِمَةُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَرْسَلَتْ غُلَامًا لَهَا يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ يَنْظُرُ لَهَا الشَّمْسَ فَإِذَا أَخْبَرَهَا أَنَّهَا تَدَلَّتْ لِلْغُرُوبِ أَقْبَلَتْ عَلَى الدُّعَاءِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ)**.اهـ من "فتح الباري" (٢/ ٤٢١).

**قلت:** وساعة الجمعة من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس فقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**التَمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَى فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ بَعْدَ العَصْرِ إِلَى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ**».**رواه الترمذي** في "سننه" (٤٨٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ١٦٥).

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهَذِهِ السَّاعَةُ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، يُعَظِّمُهَا جَمِيعُ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ هِيَ سَاعَةُ الْإِجَابَةِ)**.اهـ من "زاد المعاد" (١/ ٣٨٤).

**ثانيًا: في ثُلُثِ الليل الآخر:**

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**». **متفق عليه**.(خ ١١٤٥ -م ٧٥٨).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فينبغي للإنسان أن يجتهد بالدعاء في هذا الجزء من الليل رجاء الإجابة)**. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٥٥).

**وعَنْ جَابِرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٧٥٧).

## من أسباب علاج قسوة القلب الدعاء بأدعية تفريج الهموم والكروب:

**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**». **متفق عليه**.(خ ٦٣٤٦-م ٢٧٣٠).

**وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ**

سَمِعهُنَّ أَنْ يَتعَلَّمَهُنَّ». رواه أحمد في "مسنده" (٣٧١٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٨٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا لَأَدَّى اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رَحْمَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ». رواه الطبراني في "المعجم الصغير" (٥٥٨)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/ ١٧١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَنْ أُمِّهِ أَسْمَاءَ ابْنَةِ عُمَيْسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللهُ، اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». رواه ابن ماجه في "سننه" (٣٨٨٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٦/ ٥٩٦).

وعَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرِبٌ، أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا دَعَا بِهِ يُفَرَّجُ عَنْهُ؟» فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، فَقَالَ: «دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ». رواه الحاكم في "مستدركه" (١٨٦٤)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٣٢٥).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

فأخبر تعالى أن هذه الأمور كلها خير ممن صدرت منه، والخير يجلب الخير، ويدفع الشر، وأن المؤمن المحتسب يؤتيه الله أجراً عظيماً، ومن جملة الأجر العظيم: زوال الهم والغم والأكدار ونحوها). اهـ من "الوسائل المفيدة" (١٦).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الصَّلَاةُ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ، حَافِظَةٌ لِلصِّحَّةِ، دَافِعَةٌ لِلْأَذَى، مَطْرَدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ، مُقَوِّيَةٌ لِلْقَلْبِ، مُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، مُفْرِحَةٌ لِلنَّفْسِ، مُذْهِبَةٌ

لِلْكَسَلِ، مُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ، مُمِدَّةٌ لِلْقُوَى، شَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ، مُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ، مُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ، حَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، دَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، جَالِبَةٌ لِلْبَرَكَةِ، مُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ الْمُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ.

وَلِلصَّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ، وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِنَ الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادُّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَافِيَةُ وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ وَالْغِنَى، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ، وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ). اهـ من "الطب النبوي" (١/ ٢٥٠).

## من أسباب علاج القلب غض البصر عن الحرام:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه، فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق)**.اهـ من "تفسيره" (٦٧٠).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر:

**إحداها:** حلاوة الإيمان ولذته، التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله تعالى فإن من ترك شيئا لله عوضه الله عز وجل خيرا منه، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب. فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقا إليه، وكثيراً ما يتعب ويتعب رسوله ورائده كما قيل:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا *** لِقلبكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ المنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ *** عَلَيْه وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولد المحبة فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه ثم تقوى فتصير صبابة ينصب إليه القلب

بكليته ثم تقوى فتصير غراماً يلزم القلب، كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه ثم يقوى فيصير عشقاً وهو الحب المفرط ثم يقوى فيصير شغفاً وهو الحب الذي قد وصل إلى شَغاف القلب وداخله، ثم يقوى فيصير تتيماً، والتتيم التعبد ومنه تيمه الحب إذا عَبَّده وتيم الله عبد الله فيصير القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون هو عبدا له وهذا كله جناية النظر فحينئذ يقع القلب في الأسر فيصير أسيراً بعد أن كان ملكاً، ومسجوناً بعد أن كان مطلقاً يتظلم من الطرْف ويشكوه والطرْف يقول: أنا رائدك ورسولك، وأنت بعثتني وهذا إنما ابتُلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن ينعقد قلبه لغيره. قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [سورة يوسف:٢٤].

فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما كان مخلصاً لله تعالى نجا من ذلك مع كونه شاباً عزَباً غريباً مملوكاً.

**لفائدة الثانية في غض البصر:** نور القلب وصحة الفراسة.

**قال أبو شجاع الكرماني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة**». وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الحجر:٧٥].

وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة، وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النور:٣٥].

**وسر هذا الخبر**: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه، فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه، وإذا صدئت لم ينطبع فيها صورة المعلومات. فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

**الفائدة الثالثة:** قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين، ويهرب الشيطان منه، كما في الأثر: «**إِنَّ الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ**».

ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه، فإنه سبحانه جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون:٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [سورة فاطر:١٠].

أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله: بالكلم الطيب، والعمل الصالح، وقال بعض السلف: «**الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله**».

**وقال الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله عز وجل إلا أن يُذِلَّ من عصاه، وذلك أن من

أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه الله، كما في دعاء القنوت: «**إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**». (١) اهـ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٤٧).

## من أسباب علاج ضيق القلب التسبيح والسجود لله تعالى:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر:٩٧-٩٩].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استئصالهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يهملهم.

فأنت يا محمد: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك. اهـ من "تفسيره" (٤٣٥).

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٤٦٤)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٤٦٤) من حديث **الحسن بن علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

**من أساب علاج قسوة القلب الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم:**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأنفال:٢٤].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه.

**وقوله:** ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه. اهـ من "تفسيره" (٣١٨).

## من أسباب علاج قسوة القلب تذكر القبر:

**قال مسلم الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد حفر في داره قبراً، فإذا وجد في قلبه قسوة أو جفوة جاء فاضطجع في القبر، فيمكث فيه ما شاء الله ثم يقول: رب ارجعون، رب ارجعون، ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أعمل صالحا فيما تركت [١] ثم يقول: يا ربيع قد رجعت، قد رجعت، ثم يقوم فيمكث ما شاء الله وذلك يرى فيه.** اهـ من "أنساب الأشراف" (١١/ ٣١١).

❊❊❊

(١) يقصد بذلك قول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

# أسباب قسوة القلوب

**من أسباب قسوة القلب الغفلة عن ذكر الله تعالى:**

**عَنْ أَبِي مُوسَى** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»**. **متفق عليه**.(خ ٦٤٠٧-م ٧٧٩).

**وعن أبي موسى الأشعري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»**. **رواه مسلم** في "صحيحه" (٧٧٩).

**قال المناوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: تشبيه البيت بالحي والميت من حيث وجود الذكر وعدمه شبه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة، وإشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريد وباطنه منور بالعلم، والفهم، فكذا الذاكر يزين ظاهره بنور العمل وباطنه بنور العلم، والمعرفة فقلبه قار في حظيرة القدس، وسره في مخدع الوصل، وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل المضاف فيه مقدر أي مثل ساكن البيت، واعترض بأن ساكن البيت حي

فكيف يكون مثل الميت؟ وأجيب بأن الحي المشبه به من ينتفع بحياته بذكر الله وطاعته، فلا يكون نفس المشبه كما شبه المؤمن بالحي، والكافر بالميت مع كونهما حيين في آية: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام:١٢٢]، على أن تشبيه غير الذاكر من جهة أن ظاهره عاطل، وباطنه باطل أنسب من تشبيه بيته به. اهـ من "فيض القدير" (٥/ ٥٠٦).

**من أسباب قسوة القلب الاعراض عن ذكر الله تعالى:**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٦].

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابًا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر.

**والثانية قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الأنعام:٩٣].الآية.

**والثالثة قوله:** ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة السجدة:٢١].

**والرابعة قوله عن آل فرعون:** ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [سورة غافر:٤٦].الآية.

والذي أوجب لمن فسرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على ذلك -والله أعلم- آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة، وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي: هذا المعرض عن ذكر ربه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [سورة الإسراء:٩٧].

قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ﴾ في دار الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾ فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ بإعراضك عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب. اهـ من "تفسيره" (٥١٥).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [سورة الجن:١٧].

**قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقد له، بل غفل عنه ولهى، يسلكه عذابًا صعداً أي: شديداً بليغًا.** اهـ من "تفسيره" (٨٩٠).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٢].

**قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى عَنِ الِاعْتِبَارِ، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى عَنِ الاعتذار**). اهـ من "تفسيره" (٣/ ١٤٦).

**من أسباب قسوة القلب ترك صلاة الجمعة تهاونًا بها:**

**عن أبي الجعد الضمري** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه**». **رواه أبو داود** في "سننه" (١٠٥٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح أبي داود" (١٠٥٢).

**قال العلامة العباد حفظه الله:** يعني: أن أمرها خطير، وليس بالأمر الهين، وفيه وعيد شديد، فعلى المسلم أن يحذر من أن يحصل منه التساهل والتهاون في ذلك؛ حتى لا يحصل له هذا الأمر الذي توعد به على لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه**». [1] أي: أنه لا يحضرها، وإنما يصلي وحده أو في جماعة ظهراً، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الذي يتكرر منه هذا العمل يطبع الله على قلبه، فلا يصل إليه هدى، ولا يصل إليه خير، وهذا يدلنا على خطورة هذا العمل، وأنه أمر لا يسوغ ولا يجوز، وأن الواجب على كل مسلم أن يحرص على حضور الجمعة والجماعة، ولا يتهاون في ذلك؛ حتى لا يعرض

---

(١) تقدم تخريجه.

نفسه للوقوع في هذا الوعيد الشديد الذي جاء عن رسول الله ﷺ ومثل هذا ما جاء في صحيح مسلم [١] عن النبي ﷺ أنه قال وهو يخطب على المنبر: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**». [٢] وكل هذا يدلنا على خطورة التخلف عن صلاة الجمعة.اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣/ ١٣٤).

**وعن الْحَكَمُ بْنُ مِينَاءَ رضي الله عنه أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما** حَدَّثَاهُ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٨٦٥).

**من أسباب قسوة القلب عدم رحمة البشر:**

**عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي حَبِيبٍ رضي الله عنه** قال: قال رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ**». **رواه الدولابي** في "الكنى والأسماء" (٩٧١)، وحسنه **الإمام الألباني** رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٨١٨).

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٨٦٥) من حديث **أبي هريرة وابن عمر** رضي الله عنهما.

(٢) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٨٦٥) من حديث **أبي هريرة وابن عمر** رضي الله عنهما.

وعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ». متفق عليه.(خ٥٩٩٨-م٢٣١٧).

**من أسباب قسوة القلب هجر قراءة القرآن:**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: هجر الْقُرْآن أَنْوَاع أَحدهَا: هجر سَمَاعه وَالْإِيمَان بِهِ والإصغاء إِلَيْهِ.

وَالثَّانِي: هجر الْعَمَل بِهِ، وَالْوُقُوف عِنْد حَلَاله وَحَرَامه وَإِن قَرَأَهُ وآمن بِهِ

وَالثَّالِث: هجر تحكيمه والتحاكم إِلَيْهِ فِي أُصُول الدّين وفروعه واعتقاد أَنه لَا يُفِيد الْيَقِين وَأَن أدلته لفظية لَا تحصّل الْعلم.

وَالرَّابِع: هجر تدبّره وتفهّمه وَمَعْرِفَة مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّم بِهِ مِنْهُ.

وَالْخَامِس: هجر الِاسْتِشْفَاء، والتداوي بِهِ فِي جَمِيع أمراض الْقلب، وأدوائها فيطلب شِفَاء دائه من غَيره، ويهجر التَّدَاوِي بِهِ وكل هَذَا دَاخل فِي

قَوْله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠].اهـ من"الفوائد"(٨٢).

**وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند هذه الآية: وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصْغُونَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يستمعونه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [سورة فصلت:٢٦].الآية، فكانوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ، فَهَذَا مِنْ هجرانه وترك الإيمان به وترك صديقه مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ هُجْرَانِهِ، فَنَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ الْقَادِرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخِطُهُ، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ.اهـ من "تفسيره" (٦/ ٩٨).

**من أسباب قسوة القلب سماع الأغاني والمزامير:**

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة لقمان:٦].

**قلت: ولهو الحديث هو الغناء.**

**قال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(والذي لا إله غيره إنه الغناء). رواه ابن جرير** "تفسيره" (٢٠/ ١٢٧).

**وقال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع). رواه ابن أبي الدنيا** في "ذم الملاهي" (١/ ٤١).

**وعن أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صوتان ملعونان، صوت مزمار عند نعمة، وصوت ويل عند مصيبة». رواه البزار** في "مسنده" (٧٥١٣)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٧٨٩-٧٩٠).

**الشاهد من الحديث قوله: صوت مزمار عند نعمة.**

**وعن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ،**

وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ». رواه البخاري في "صحيحه" (٥٥٩٠).

**الشاهد من الحديث قوله:** «**والمعازف**»، وهي: الغناء وما يتعلق به آلات الطرب.

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الناس الآن تقاسموا هذه الأشياء الأربعة منهم من انتشر في شعوبهم الزنا واللواط، والعياذ بالله، وصار عندهم مباحًا يذكر لنا أنه في بعض البلاد إذا نزلت الطائرة، وإذا في المطار فتيات وفتيان يقالون للنازل ما تريد؟ جميلة غير جميلة شابة غير شابة؟ الحر يعني الزنا أو اللواط، وفي بعض البلاد الخمر منتشر يباع في الأسواق، ويشرب ليلاً ونهاراً وكأنه شراب حلال، وفي بعض البلاد ولاسيما في المتوفين من رعيتهم نجد الرجل كالمرأة يلبس الحرير واللين من الثياب، وربما يلبس حلي الذهب قلادة خاتم أو ما أشبه ذلك، والمعازف الآن حدث، ولا حرج المعازف منتشرة في غالب بلاد الإسلام إن لم أقل في كل بلاد الإسلام فقد انتشرت، والعياذ بالله المعازف بجميع أنواعها، فنسأل الله السلامة، والهداية، وأن يصلح ولاة الأمور ورعاياهم، إنه على كل شيء قدير. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٢٢٧).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاء رجل إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:** فقال يا ابن عباس أرأيت الغناء أحلال هو أم حرام؟ فقال ابن عباس أرأيت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل فقال ابن عباس: فماذا بعد الحق إلا الضلال، اذهب فقد أفتيت نفسك. اهـ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٤٣).

**وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات وألتذ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات، فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن).** اهـ من "مجموع الفتاوى" (١١/ ٥٣٢).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن الغناء: (هو جاسوس القلوب، وسارق المروءة، وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدب إلى محل التخيل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة، والرعونة، والحماقة. فبينا ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن. فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله، وقَلَّ حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانه، وثقل عليه قرآنه).** اهـ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٤٩).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الغناء:** (يسُوقُ النَّفْسَ إِلَى السُّكْرِ الَّذِي يَسُوقُهَا إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ ثُمَّ يُبِيحُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ سَوْقًا لِلنُّفُوسِ إِلَى الْحَرَامِ بِكَثِيرٍ؟ فَإِنَّ الْغِنَاءَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هُوَ رُقْيَةُ الزِّنَا، وَقَدْ شَاهَدَ النَّاسُ أَنَّهُ مَا عَانَاهُ صَبِيٌّ إِلَّا وَفَسَدَ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا وَبَغَتْ، وَلَا شَابٌّ إِلَّا وَإِلَّا، وَلَا شَيْخٌ إِلَّا وَإِلَّا، وَالْعِيَانُ مِنْ ذَلِكَ يُغْنِي عَنِ الْبُرْهَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَمَعَ هَيْئَةً تَحْدُو النُّفُوسَ أَعْظَمَ حَدْوٍ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَالْفُجُورِ). اهـ من "مدارج السالكين" (١/ ٤٩٤).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (وَمِنْ هَاهُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْقُبْلَةَ بَرِيدُ الْجِمَاعِ، وَالْغِنَاءُ بَرِيدُ الزِّنَا، وَالنَّظَرُ بَرِيدُ الْعِشْقِ، وَالْمَرَضُ بَرِيدُ الْمَوْتِ). اهـ من "الداء والدواء" (٥٠).

**وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (وإني أخشى أن يزداد الأمر شدة، فينسى الناس هذا الحكم حتى إذا ما قام أحد ببيانه أنكر ذلك عليه، ونسب إلى التشدد والرجعية، كما جاء في حديث **عبد الله ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا: غيرت السنة قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: «**إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين**». **رواه الدارمي** في "سننه" (١/ ٦٤)، **والحاكم**

(٤/ ٥١٤)، بسند صحيح **والدارمي** أيضاً، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ١٨٨)، من طريق أخرى عنه بسند حسن، وفيه الزيادة التي بين المعكوفتين وهو: موقوف في حكم المرفوع؛ لأنه من أمور الغيب التي لا تدرك بالرأي ولا سيما وقد وقع كل ما فيه من التنبؤات. والله المستعان. اهـ من "تحريم آلة الطرب" (١٦).

**قلت:** والناس يعلمون علماً يقينياً أن الغناء حرام بجميع أنواعه، وأشكاله فلو سألت شخصاً ممن يستمع الغناء ويُدْمن على سماعه، هل الغناء حلال أم حرام؟ لأجابك: الغناء حرام لكني أُسلي نفسي عند استماعه فقط، وفي الحقيقة هو: يُضيّق على نفسه ويجلب له الهمّ، والغمّ، والكرب، والضنك شعر أم لم يشعر قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [سورة الجن:١٧].

**من أسباب قسوة القلب النظر إلى الحرام:**

**قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَبَلغنِي عَنْ رَجُلٍ كَانَ بِبَغْدَادَ، يُقَالُ لَهُ **صَالِحُ الْمُؤَذِّنُ** أَذَّنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ يُعْرَفُ بِالصَّلاحِ، أَنَّهُ صَعَدَ يَوْمًا إِلَى الْمَنَارَةِ

لِيُؤَذِّنَ، فَرَأَى بِنْتَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ كَانَ بَيْتُهُ إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَافْتُتِنَ بِهَا فَجَاءَ فَطَرَقَ الْبَابَ، فَقَالَتْ: مَنْ، فَقَالَ: أَنَا صالِحُ الْمُؤَذِّنُ، فَفَتَحَتْ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ ضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: أَنْتُمْ أَصْحَابُ الأَمَانَاتِ فَمَا هَذِهِ الْخِيَانَةِ، فَقَالَ: إِنْ وَافَقْتِنِي عَلَى مَا أُرِيدُ وَإِلا قَتَلْتُكِ، فَقَالَتْ: لَا إِلا أَنْ تَتْرُكَ دِينَكَ، فَقَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلامِ، وَمِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ دَنَا إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّمَا قُلْتُ هَذِهِ لِتَقْضِي غَرَضَكَ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى دِينِكَ، فَكُلْ مِنْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، فَأَكَلَ، قَالَتْ: فَاشْرَبِ الْخَمْرَ، فَشَرِبَ، فَلَمَّا دَبَّ الشَّرَابُ فِيهِ دَنَا إِلَيْهَا، فَدَخَلَتْ بَيْتًا وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ وَقَالَتِ اصْعَدْ إِلَى السَّطْحِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَبِي زَوَّجَنِي مِنْكَ، فَصَعَدَ فَسَقَطَ فَمَاتَ فَخَرَجَتْ فَلَفَّتْهُ فِي مَسْحٍ فَجَاءَ أَبُوهَا فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ فَأَخْرَجَهُ فِي اللَّيْلِ فَرَمَاهُ فِي السِّكَّةِ، فَظَهَرَ حَدِيثُهُ فَرُمِيَ فِي مَزْبَلَةٍ. اهـ من "ذم الهوى" (١٤٥٨-٤٥٩).

**الشاهد من هذا، قول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن صالح المؤذن: أَنَّهُ صَعَدَ يَوْمًا إِلَى الْمَنَارَةِ لِيُؤَذِّنَ، فَرَأَى بِنْتَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ كَانَ بَيْتُهُ إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَافْتُتِنَ بِهَا.**

**قلت:** ويا لها من خسارة والله أن يبقى الإنسان على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فترة من الزمان، ثم بعد ذلك ينتكس، ويترك دينه، من أجل شهوة امرأة، نعوذ الله من الحور بعد الكور، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**يستعيذ بالله من**

**الحور بعد الكور»** [١] ونعوذ بالله سوء الخاتمة نسأل الله السلامة والعافية، بقي صالح المؤذن، يؤذن هذه المدة، ثم فجأة يترك الأذان، بسبب نظرة فقط، ويتنازل عن دينه ويترك دينه لأجل شهوة، ومات على هذه الخاتمة السيئة عياذاً بالله، ولو استمر صالح المؤذن، على، وظيفة الأذان، ومات على طاعة الله، لكان من أهل الجنة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**بدليل حديث: ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أذن ثنتي عشرة سنة، وجبت له الجنة، وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، ولكل إقامة ثلاثون حسنة**». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٧٢٨)، وصححه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "مشكاة المصابيح" (١/ ٢١٤).

**وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ عبدة بن عبد الرحيم [٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: خرجنا في سرية إلى أرض الروم، فصحبنا شاب لم يكن فينا أقرأ للقرآن منه، ولا أفقه

---

(١) **الحديث بتمامه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٣٤٣).

(٢) **وقد وهم ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ، في "البداية والنهاية" (١١/ ٩٨): حيث ذكر أن عبدة بن عبد الرحيم، هو صاحب القصة، وقال قبحه الله، وعبدة بن عبد الرحيم: ليس هو صاحب القصة، ولا راوي

ولا أفرض، صائم النهار، قائم الليل، فمررنا بحصن فمال عنه العسكر، ونزل بقرب الحصن، فظننا أنه يبول، فنظر إلى امرأة من النصارى تنظر من وراء الحصن، فعشقها فقال لها بالرومية: كيف السبيل إليك؟ قالت: حين تنصر ويفتح لك الباب وأنا لك. قَالَ: ففعل فأدخل الحصن، قَالَ: فقضينا غزاتنا في أشد ما يكون من الغم، كأن كل رجل منا يرى ذلك بولده من صلبه، ثم عدنا في سرية أخرى، فمررنا به ينظر من فوق الحصن مع النصارى، فقلنا: يا فلان، ما فعلت قراءتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعلت صلواتك وصيامك قَالَ اعلموا أني نسيت القرآن كله ما اذكر منه إلا هذه الآية: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الحجر:٣]. اهـ من "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٢/ ٣٠٢).

---

القصة. وعبدة بن عبد الرحيم بن حسان أبو سعيد المروزي، روى عنه الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في "كتاب الأدب"، **والإمام النسائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو صدوق من رجال التهذيب، **وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في "المنتظم" (١٢/ ٣٠١): كان من أهل الدين والجهاد. اهـ على أن **ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نقل هذه القصة، من طريق البيهقي، وهي بسند أعلى عند البيهقي في "شعب الإيمان" (٦/ ١٦٤ - ١٦٥)، ط مكتبة الرشد.

**قال المقرئ الأديب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله أعلم بالصواب، فانظر إلى هذا لعنه الله إن كان مات على ذلك، وهو من القراء والمجاهدين، وربما كان من الصلحاء كيف تخلى عن دينه، لبضع امرأة، وفي المسلمات، من هي أحسن منها وأطهر.

**من أسباب قسوة القلب الذنوب والمعاصي:**

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ، وَتَطْمِسُ نُورَهُ، وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ، وَتَحْجُبُ مَوَادَّ الْهِدَايَةِ.

**وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ وَرَأَى تِلْكَ الْمَخَايِلَ: إِنِّي أَرَى اللهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.

وَلَا يَزَالُ هَذَا النُّورُ يَضْعُفُ وَيَضْمَحِلُّ، وَظَلَامُ الْمَعْصِيَةِ يَقْوَى حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ فِي مِثْلِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَكَمْ مِنْ مُهْلَكٍ يَسْقُطُ فِيهِ وَلَا يُبْصِرُ، كَأَعْمَى خَرَجَ بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقٍ ذَاتِ مَهَالِكَ وَمَعَاطِبَ، فَيَا عِزَّةَ السَّلَامَةِ وَيَا سُرْعَةَ الْعَطَبِ، ثُمَّ تَقْوَى تِلْكَ الظُّلُمَاتُ، وَتَفِيضُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْجَوَارِحِ، فَيَغْشَى الْوَجْهَ مِنْهَا سَوَادٌ، بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَتَزَايُدِهَا، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ ظَهَرَتْ فِي الْبَرْزَخِ، فَامْتَلَأَ

الْقَبْرُ ظُلْمَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مُمْتَلِئَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً، وَإِنَّ اللهَ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ». (١)

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْمَعَادِ، وَحُشِرَ الْعِبَادُ، عَلَتِ الظُّلْمَةُ الْوُجُوهَ عُلُوًّا ظَاهِرًا يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، حَتَّى يَصِيرَ الْوَجْهُ أَسْوَدَ مِثْلَ الْحُمَمَةِ، فَيَالَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ لَا تُوَازَنُ لَذَّاتِ

---

(١) **أخرجها مسلم** في "صحيحه" (٩٥٦) وهي من مراسيل ثابت أدرجت في المرفوع من طريق أبي الكامل الجحدري عن حماد بن زيد بن ثابت عن أبي هريرة به.

**قال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الزِّيَادَةَ لِأَنَّهَا مُدْرَجَةٌ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ وَهِيَ مِنْ مَرَاسِيلِ ثَابِتٍ بَيَّنَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَقَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ فِي كِتَابِ "بَيَانِ الْمُدْرَجِ". اهـ من "فتح الباري" (١/ ٥٥٣).

**وقد سئل الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ: ما صحة حديث: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ ظُلْمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا وَاللهُ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهَا» وما معناه؟ يقول السائل: طيب -يا شيخ! - هناك حديث الذي يقول: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهَا» ما صحة هذا الحديث؟

**الشيخ**: حديث صحيح.

**السائل**: والشرح، معنى الحديث؟

**الشيخ**: معنى الحديث: إن صلاة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على الأموات يخفف عنهم مما إذا كانوا مثلاً بهم شيء من عذاب القبر، أو يزيدهم نورًا على نورهم في قبورهم. اهـ من "سلسلة فتاواه" (١/ ٥).

الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَكَيْفَ بِقِسْطِ الْعَبْدِ الْمُنَغَّصِ الْمُنَكَّدِ الْمُتْعَبِ فِي زَمَنٍ إِنَّمَا هُوَ سَاعَةٌ مِنْ حُلْمٍ؟ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.اهـ من "الداء والدواء" (٧٨).

**وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي).** اهـ من "جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة" (١/ ١٦٣).

**من أسباب قسوة القلب النظر إلى المردان ومجالستهم:**

**نصيحة لكل من مسلم أن يترك مجالسة المردان ومصاحبتهم.**

**قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وأما الأمرد الحسن فلم أر لأصحابنا كلامًا في الخلوة به، وقياس المذهب أنه يحرم الخلوة به، كما قال المصنف والجمهور، ونصَّ عليه الشافعي أنه يحرم النظر إليه، وإذا حرم النظر فالخلوة أولى؛ فإنها أفحش وأقرب إلى المفسدة، والمعنى المخوف في المرأة موجود).**اهـ من "المجموع شرح المهذب" (٤/ ٢٧٨).

**وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما الأمرد الحسن فيحرم بكل حال تقبيله، سواء قدم من سفر أم لا، والظاهر أن معانقته قريبة من تقبيله، وسواء كان المُقَبِّل والمُقَبَّل صالحين أو غيرهما، ويستثنى من هذا: تقبيل الوالد والوالدة ونحوهما من المحارم على سبيل الشفقة.**اهـ. من "المجموع شرح المهذب" (٤/ ٦٣٨).

**وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** يحرم النظر إلى الأمرد والحسن بكل حال إلا لحاجة شرعية.ا.هـ. "المجموع شرح المهذب" (٨/ ٤٧).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ** أما صحبة المردان على وجه الاختصاص بأحدهم - كما يفعلونه - مع ما ينضم إلى ذلك من الخلوة بالأمرد الحسن ومبيته مع الرجل ونحو ذلك؛ فهذا من أفحش المنكرات عند المسلمين وعند اليهود والنصارى وغيرهم؛ فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ودين سائر الأمم بعد قوم لوط: تحريم الفاحشة اللوطية.

**وقال:** وكذلك مقدمات الفاحشة عند التلذذ بقبلة الأمرد ولمسه والنظر إليه هو حرام باتفاق المسلمين، كما هو كذلك في المرأة الأجنبية. اهـ في "مجموع الفتاوى" (١١/ ٥٤٢ - ٥٤٣).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وكذلك النظر إلى الأمرد بشهوة هو من هذا الباب، **وقد اتفق العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ** على تحريم ذلك، كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم بشهوة). اهـ في "مجموع الفتاوى" (٢١/ ٢٤٨).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز تقبيله على وجه اللذة؛ بل لا يقبله إلا من يؤمن عليه: كالأب؛ والإخوة، ولا يجوز النظر إليه على هذا الوجه باتفاق

الناس؛ بل يحرم عند جمهورهم النظر إليه عند خوف ذلك؛ وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة، مثل: معاملته والشهادة عليه؛ ونحو ذلك كما ينظر إلى المرأة للحاجة.اهـ من "مجموع الفتاوى" (٣٢/ ٢٤٧).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال أيضًا قال بعض التابعين: ما أنا على الشاب التائب من سبع يجلس إليه بأخوف عليه من حدث جميل يجلس إليه.

**قال: وقال بعضهم:** اتقوا النظر إلى أولاد الملوك؛ فإن فتنتهم كفتنة العذارى.اهـ من "مجموع فتاواه" (١٥/ ٤٢٠ - ٤٢١).

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما زال أئمة العلم والدين - كأئمة الهدى وشيوخ الطريق - يوصون بترك صحبة الأحداث.

**وقال: وقال بعضهم:** ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه بصحبة هؤلاء الانتان حتى يروى عن فتح الموصلي أنه قال: صحبت ثلاثين من الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث.

**وقال بعضهم: ما سقط عبد من عين الله إلا بصحبة هؤلاء الانتان ثم النظر يؤكد المحبة فيكون علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم صبابة لا صباب القلب إليه ثم غرامًا للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه ثم عشقًا إلى أن يصير تتيمًا والمتيم المعبد وتيم الله عبد الله فيبقى القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون**

**أخا بل ولا خادماً وهذا إنما يبتلى به أهل الإعراض عن الإخلاص لله كما قال تعالى في حق يوسف:** ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف:٢٤].

فامرأة العزيز كانت مشركة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومراودتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه لله تحقيقاً لقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ [سورة الحجر:٣٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر:٤٢].

والغي هو اتباع الهوى وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع الهوى.اهـ من "الفتاوى الكبرى" (١/ ٢٨١).

## من أسباب قسوة القلب النميمة:

**وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد بينهم هذا بيانها وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية**

من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [سورة القلم:١٠-١١].

**وفي الصحيحين:** (خ ٦٠٥٦- م١٠٥)، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**».

**وفي الحديث:** أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أنه كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**». ثم أخذ جريدة رطبة فشقها اثنتين وغرز في كل قبر واحدة وقال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**». متفق عليه. (خ ٢١٨- م٢٩٢).

**وقوله:** «**وما يعذبان في كبير**» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «**بلى إنه كبير**».

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فإن الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة**». متفق عليه. (خ٦٠٥٨- م٢٥٢٦).

**ومعنى:** «**من كان ذا لسانين**» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.

إنما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير إلى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها وسواء كان من الأقوال أو الأعمال وسواء كان عيباً أو غيره فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية).اهـ

**وعن حذيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة قتات**». **متفق عليه**. (خ٦٠٥٦-م١٠٥).

**وفي رواية لمسلم**: (١٠٥): «**نمام**»، وفي رواية: «**قساس**».

**قلت**: ومعنى: «**قتات**» و«**قساس**» أي: نمام.

**وعن جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨١٢).

**وعن جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء**

**أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»**. قال الأعمش: (أراه قال: «**فيلتزمه**»). **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨١٣).

**وعن عبد الرحمن بن غنم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبلغ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خيار عباد الله الذين إذا رُؤُوا، ذكر الله، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٧٩٩٨).

**وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا أخبركم بخياركم**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**الذين إذا رؤوا، ذكر الله تعالى**»، ثم قال: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٧٥٩٨)، **فهو حديث حسن بشواهده**.

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ليس منّا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده)**. **رواه أبو داود** في "سننه" (٢١٧٥)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٣٩٢/ ٤٤٩٣).

**قوله: ليس منا: قال العلامة العباد حفظه الله:** يدل على تحريمه، وأنه من الأمور المحرمة، وأن من يفعل ذلك فقد عرض نفسه لأن يكون من أهل هذا

الوصف، لكن لا يعني ذلك أنه ليس من المسلمين، بل هو مسلم، ولكنه ليس على المنهج الصحيح وعلى الطريق الصحيح، بل هو عاصٍ ومخالف. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣/ ٢٥٠).

**قال العلامة العباد حفظه الله:** والتخبيب هو إفساد المرأة على زوجها، بأن يسعى إلى أن يفسد ما في قلبها حتى يكون الفراق، ولهذا قدمه في أول الطلاق؛ لأن من أسباب الطلاق تخبيب المرأة على زوجها حتى تتمرد عليه وتسعى إلى التخلص منه بسبب هذا الإفساد. اهـ من "شرح سنن أبي داود" (٣/ ٢٥٠).

**وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكاية: (روي أن رجلاً رأى غلامًا يباع وهو ينادي عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب، واشتراه، فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال: أنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك فقالت في نفسها: نعم واشتغل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ثم جاء إلى زوجها وقال: سيدي إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقًا، ومحبًا غيرك، ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن**

تذبحك به، وصدقه سيده، فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة، فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم، فلذلك سمى الله النمام فاسقًا في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة الحجرات:٦]). اهـ من "كتاب الكبائر" (١٤٦).

**وقال يحيى بن أبي كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة، والنميمة من أنواع السحر، لأنها تشارك السحر في التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور**). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٩/ ٥٠٣).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [سورة القلم:١١].

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني: الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ، وَيُحَرِّشُ بَيْنَهُمْ وَيَنْقُلُ الْحَدِيثَ لِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَهِيَ الْحَالِقَةُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ مُجَاهِدٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». الْحَدِيثَ. وَأَخْرَجَهُ بَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ فِي كُتُبِهِمْ، مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، بِهِ. اهـ من تفسيره (٨/ ١٩١). "صحيح البخاري" برقم (٢١٨)، "صحيح مسلم" برقم (٢٩٢)، "سنن أبي داود" برقم (٢٠)، "سنن الترمذي" برقم (٧٠)، "سنن النسائي" (١/ ٢٨)، "سنن ابن ماجة" برقم (٣٤٧).

**وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من نم لك نم عليك**». اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٢٨٠).

**ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة:**

**قال الإمام النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: فلان يقول فيك، أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور:**

**الأول: أن لا يصدّق، لأن النمام فاسق.**

**الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصحه، ويقبح له فعله.**

**الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.**

**الرابع: أن لا يظُن بأخيه الغائب السوء.**

**الخامس: أن لا يحمله ما حكي له على التجسس، والبحث عن ذلك.**

**السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته عنه فيقول: فلان حكى كذا، فيصير به نماماً، ويكون آتيا ما نهى عنه)**. اهـ من "فضل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٩/ ٥٠٣).

**من أسباب قسوة القلب الغيبة:**

وما أدراك ما الغيبة فكم والله قد انتشرت الغيبة في البيوت وغيرها من الأماكن، **أما من جانب الرجال**: فما أكثر الغيبة في أوساطهم.

**دليل ذلك: عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٨٩).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا قال في الثالثة: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا﴾؟ **الجواب**: لا؛ لا يحب، بل يكره، ولهذا قال: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات:١٢].

**قال بعض المفسرين** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إذا كان يوم القيامة، فإنه يؤتي بالرجل الذي اغتابه الشخص، يمثل له بصورة إنسان ميت، ثم يقال له: كل من لحمه، ويكره على ذلك، وهو يكرهه، لكن يكره على هذا عقوبة له، والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٢١).

**سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة ذلك؟**

**الجواب: قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإذا قال قائل: ما هي مناسبة الغيبة لهذا المثل؟ قلنا: لأن الذي تغتابه غائب لا يمكن أن يدافع عن نفسه، كالميت إذا قطعت لحمه لا يمكن أن يقوم ليدافع عن نفسه، ولهذا إذا ذكرت أخاك بما يكره في حال وجوده فإن ذلك لا يسمى غيبة فإن بل يسمى سبًا وشتمًا. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ١٠٩).

**وأما من جانب النساء فما أكثر الغيبة في أوساطهن:**

**دليل ذلك: عن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**» قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها،

وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، **قال**: «**هي في الجنة**». **رواه البخاري** في "الأدب المفرد" (١١٩)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٣٦٩).

**قوله**: "أثوار أقط"، الأثوار: جمع ثور: وهي القطعة من الأقط، والأقط -بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها-: لبن جامد مستحجر.

**الشاهد من الحديث قوله**: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها، قال: «**هي في النار**».

**وعن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قالت: قلت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت: وحكيت له إنسانًا فقال: ما أحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا**». **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٨٧٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ٥٠).

**سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقًا؟**

**الجواب: قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القدح ليس بغيبة في ستة *** متظلم ومعرف ومحذر

ومجاهر بالفسق ثمت سائل *** ومن استعان على إزالة منكر

**ونظمتها في قولي:**

يباح اغتياب للفتى إن تجاهراً *** بفسقٍ وللتعريف أو للتظلم

**وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أنَّ الغيبةَ وإن كانت محرّمة فإنها تُباح في أحوال للمصلحة.

**والمُجوِّزُ لهَا غرض صحيح شرعي لا يمكن الوصولُ إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب:**

**الأوّل:** التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلَّم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه، فيذكرُ أن فلانـًا ظلمني، وفعل بي كذا، وأخذ لي كذا، ونحو ذلك.

**الثاني:** الاستعانة على تغيير المنكر وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعملُ كذا فازجرْه عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامـًا.

**الثالث:** الاستفتاء، بأن يقولَ للمفتي: ظلمني، أبي أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقّي ودفع الظلم عني؟ ونحو ذلك.

**وكذلك قوله:** زوجتي تفعلُ معي كذا، أو زوجي يفعلُ كذا، ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط أن يقول: ما تقولُ في رجل كان من أمره كذا، أو في زوج أو زوجة تفعلُ كذا، ونحو ذلك، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز، لحديث هند الذي سنذكره إن شاء الله تعالى، وقولُها: «**يا رسول الله، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيح**». (١) الحديث، ولم ينهها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الرابع:** تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم، وذلك من وجوه: **منها** جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

**ومنها:** ما استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته بغير ذلك، وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة، فإن حصل الغرض بمجرّد قولك لا تصلحُ لك معاملتُه، أو مصاهرُته، أو لا تفعلْ هذا، أو نحو ذلك، لم تجز الزيادةُ بذكر المساوئ وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه.

---

(١) **متفق عليه**.(خ٧١٨٠-م١٧١٤) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

**ومنها:** إذا رأيتَ مَن يشتري عبداً يعرف بالسرقة أو الزنا أو الشرب أو غيرها، فعليك أن تبيّن ذلك للمشتري إن لم يكن عالمـًا به، ولا يختصّ بذلك، بل كل من علم بالسلعة المبيعة عيبـًا وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه.

**ومنها:** إذا رأيت متفقهـًا يتردَّدُ إلى مبتدعٍ أو فاسقٍ يأخذ عنه العلم خِفْتَ أن يتضرَّرَ المتفقّه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويُشترط أن يقصدَ النصيحةَ، وهذا مما يُغلَطُ فيه، وقد يَحملُ المُتكلمَ بذلك الحسدُ، أو يُلَبِّسُ الشيطانُ عليه ذلك، ويُخيَّلُ إليه أنه نصيحةٌ وشفقةٌ، فليتفطَّنْ لذلك.

**ومنها:** أن لا يكون له، ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحـًا لها، وإما بأن يكون فاسقـًا أو مغفلاً ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيلَه ويُولِّي من يَصلحُ أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضة حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثَّه على الاستقامة أو يستبدل به.

**الخامس:** أن يكون مُجاهراً بفسقه أو بدعته، كالمجاهر بشرب الخمر، أو مصادرة لناس، وأخذ المُكس، وجباية الأموال ظلمـًا، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يُجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

**السادس:** التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب: كالأعمش، والأعرج، والأصمّ، والأعمى، والأحول، والأفطس، وغيرهم، جاز تعريفه بذلك بنيّة التعريف، ويحرمُ إطلاقُه على جهة التنقص ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى.

فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء مما تُباح بها الغيبة على ما ذكرناه.

وممّن نصّ عليها هكذا الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في " الإحياء " وآخرون من العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ودلائلُها ظاهرة من الأحاديث الصحيحة المشهورة، وأكثرُ هذه الأسباب مجمع على جواز الغيبة بها، روينا في " صحيحي البخاري ومسلم [1] **عن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رجلاً استأذنَ على النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ**». احتجّ به البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرِّيَبِ.

وروينا في "صحيحي البخاري ومسلم" **عن ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قسمَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسمةً، فقال رجلٌ من الأنصار: والله ما أرادَ محمدٌ بهذا وجهَ الله تعالى، فأتيتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرتُه، فتغيَّرَ وجهُه

---

(١) **متفق عليه**.(خ٦٠٣٢-م٢٥٩١) من حديث **عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وقال: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»، [١] وفي بعض رواياته: «**قال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فقلتُ لا أرفعُ إليه بعد هذا حديثًا**».

**قلتُ**: احتجّ به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في إخبار الرجل أخاه بما يُقال فيه.

روينا في "صحيح البخاري" [٢] **عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَظُنُّ فُلانًا وَفُلانًا يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنا شَيْئًا**» قال الليث بن سعد أحد الرواة: كانا رجلين من المنافقين.

وروينا في "صحيحي البخاري ومسلم" [٣] **عن زيد بن أرقم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فأصابَ الناسَ فيه شدةٌ، فقال عبدُ الله بن أُبيّ: لا تُنفقوا على مَن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يَنْفَضُّوا من حوله، وقال: لئن رجعنَا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فأتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرتُه بذلك، فأرسلَ إلى عبد الله بن أُبيّ، وذكر الحديث، وأنزل الله تعالى تصديقه: قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون:١].

---

(١) **متفق عليه**.(خ٣١٥٠-م١٠٦٢) من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **رواه البخاري** في "صحيحه" (٦٠٦٧).

(٣) **متفق عليه**. (خ ٤٩٠٠-م٢٧٧٢).

وفي الصحيح [١] حديث **هند امرأة أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقولها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن أبا سفيان رجل شحيح..." إلى آخره.

**وحديث فاطمة بنت قيس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: «**أما معاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ، وأمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَع العَصَا عَنْ عاتِقِهِ**». [٢] اهـ من "الأذكار" (١/ ٣٤٠).

**سؤال: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلُّل من الغيبة؟**

**الجواب: هذا فيه تفصيل على حالتين:**

**الحالة الأولى:** إن كان هذا الشخص قد علم أنك اغتبته فيجب عليك أن تتحلل منه بطلب العفو أو المسامحة: بدليل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**». **رواه البخاري** في "صحيحه" (٢٤٤٩).

**الشاهد من الحديث قوله:** فليتحلله منه اليوم، أي: فليطب منه المسامحة والعفو، وهو مازال حيـًا لأنه إذا لم يتحلل منه اليوم ومات، فإن هذا الذي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) **رواه مسلم** في "صحيحه" (م١٤٨٠) من حديث **فاطمة بنت قيس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

اغتبته سيأخذ من حسناتك **بدليل قوله**: قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه، فعلينا جميعاً أن نبادر ونسارع إلى كل من اغتبناه ونطلب منه التحلل والمسامحة.

**وعن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوساً عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تخلّل**»، قال: وما أتخلّل يا رسول الله، أكلت لحمَ؟ قال: «**إنك أكلت لحم أخيك**». **رواه الطبراني** في "الكبير" (١٠٠٩٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٨٣٧).

**الشاهد من الحديث قوله:** «**تخلّل**» قال: وما أتخلّل يا رسول الله، أكلت لُحمَاً؟ قال: «**إنك أكلت لحم أخيك**».

**وقال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **حُكيَ قَالَ بَعضهم:** رَأَيْت رجلاً مَقْطُوع الْيَد من الْكَتف وَهُوَ يُنَادي من رَآنِي فَلَا يظلمن أحداً فتقدمت إِلَيْهِ فَقلت لَهُ يَا أخي مَا قصتك قَالَ يَا أخي قصَّة عَجِيبَة وَذَلِكَ أَنِّي كنت من أعوان الظلمَة فَرَأَيْت يَوْمًا صياداً وَقد اصطاد سَمَكَة كَبِيرَة فأعجبتني فَجئْت إِلَيْهِ فَقلت أَعْطِنِي هَذِه السَّمَكَة فَقَالَ لَا أعطيكها أَنا آخذ بِثمنِهَا قوتاً لِعِيَالِي فضربته وأخذتها مِنْهُ قهراً

ومضيت بهَا قَالَ فَبينا أَنا أَمْشِي بهَا حاملها إِذْ عضت على إبهامي عضة قَوِيَّة فَلَمَّا جِئْت بهَا إِلَى بَيْتِي وألقيتها من يَدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألمـًا شَدِيداً حَتَّى لم أنم من شدَّة الْوَجْع والألم وورمت يَدي فَلَمَّا أَصبَحت أتيت الطَّبِيب وشكوت إِلَيْهِ الْأَلَم فَقَالَ هَذِه بَدْء الآكلة أقطعها وَإِلَّا تقطع يدك فَقطعت إبهامي ثمَّ ضربت على يَدي فَلم أطق النوم وَلَا الْقَرار من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي إقطع كفك فقطعته وانتشر الْأَلَم إِلَى الساعد وآلمني ألمـًا شَدِيداً وَلم أطق الْقَرار وَجعلت أستغيث من شدَّة الْأَلَم فَقيل لي اقطعها إِلَى الْمرْفق فقطعتها فانتشر الْأَلَم إِلَى الْعَضُد وَضربت على عضدي أَشد من الْأَلَم الأول فَقيل اقْطَعْ يدك من كتفك وَإِلَّا سرى إِلَى جسدك كُله فقطعتها فَقَالَ لي بعض النَّاس مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك قَالَ فَلم أزل أطلبه فِي الْبَلَد حَتَّى وجدته فَوَقَعت على رجلَيْهِ أقبلها وأبكي وَقلت لَهُ يَا سَيِّدي سَأَلتك بِالله إِلَّا عَفَوْت عني فَقَالَ لي وَمن أَنْت قلت أَنا الَّذِي أخذت مِنْك السَّمَكَة غصبـًا وَذكرت مَا جرى وأريته يَدي فَبكى حِين رَآهَا ثمَّ قَالَ يَا أخي قد أحللتك مِنْهَا لما قد رَأَيْته بك من هَذَا الْبلَاء فَقلت يَا سَيِّدي بِالله

هَل كنت قد دَعَوْت عَليّ لما أَخَذتهَا قَالَ نعم قلت اللَّهُمَّ إِن هَذَا تقوى عَليّ بقوته على ضعْفي على مَا رزقتني ظلماً فأرني قدرتك فِيهِ فَقلت يَا سَيِّدي قد أَرَاك الله قدرته فِي وَأَنا تائب إِلَى الله عز وَجل عَمَّا كنت عَلَيْهِ من خدمَة الظلمَة وَلَا عدت أَقف لَهُم على بَاب وَلَا أكون من أعوانهم مَا دمت حَيا إِن شَاءَ الله وَبِاللهِ التَّوْفِيق.اهـ من "الكبائر" (١١٣).

**الشاهد من القصة:** **(فَقَالَ لي بعض النَّاس مَا سَبَب ألمك فَذكرت قصَّة السَّمَكَة فَقَالَ لي لَو كنت رجعت فِي أول مَا أَصَابَك الْأَلَم إِلَى صَاحب السَّمَكَة واستحللت مِنْهُ وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً فَاذْهَبْ الْآن إِلَيْهِ واطلب رِضَاهُ قبل أَن يصل الْأَلَم إِلَى بدنك).**

**الحالة الثانية:** وإذا لم يعلم أنك قد اغتبته فعليك أن تستغفر له، وتدعو له، وتذّكرهُ بالخير في الأماكن التي اغتبته فيها وتكثر من ذلك.

**قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأما إذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل: من شرط توبته إعلامه وقيل: لا يشترط ذلك، وهذا قول الأكثرين، وهما روايتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أ يفعل منع المظلوم حسنات كالدعاء، والاستغفار، وعمل صالح يهدي يقوم مقام اغتيابه، وقذفه).**

**وقال الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته)**. اهـ من"مجموع الفتاوى" (١٨/ ١٨٩).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُذكر عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: «**اللهم اغفر لنا وله**». [١] **ذكره البيهقي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الدعوات الكبير، وقال: في سنده ضعف.

**وهذه المسألة فيها قولان للعلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ **هما روايتان عن الإمام أحمد، وهما**: هل يكتفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بد من إعلامه وتحلّله؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى علمه، بل يكفيه الاستغفار له، وذكّره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

وهذا اختيار **شيخ الإسلام بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، [٢] وغيره [٣] والذين قالوا: لا بد من إعلمه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية، والفرق بينما ظاهر، فإن في الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه، فإن شاء أخذها، وإن

---

(١) **وقد ذكره الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٤/ ٢٨)، وقال إسناده ضعيف مظلم.

(٢) كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٢٩١) و (١٨/ ١٨٩) ، "الصارم المسلول" (٣/ ٦١٦- ٩١٧-٩١٨).

(٣) كما في "فتاوى ابن الصلاح" (١/ ١٩٠- ١٩٢)، "تفسير القرطبي" (١٦/ ٣٣٧) "سبل السلام" (٤/ ٢٠٣)، "غذاء الألباب" (١/ ١١٤، ٢/ ٥٧٦- ٥٧٧).

شاء تصدق بها، وأما في الغيبة، فلا يمكن ذلك، ولا يحصل له بإعلمه إلا عكس مقصود الشارع، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمي به، ولعله ينتج عداوته، ولا يصف له أبداً، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم لا يبحه ولا يجوزه، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكمليها والله تعالى أعلم. اهـ من "الوابل الصيب" (١٤٢).

**سؤال: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟**

**الجواب: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَسْأَلَةٌ:** قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا غِيبَةَ لِفَاسِقٍ**»، وَمَا حَدُّ الْفِسْقِ؟ وَرَجُلٌ شَاجَرَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا شَارِبُ خَمْرٍ، أَوْ جَلِيسٌ فِي الشُّرْبِ أَوْ آكِلُ حَرَامٍ، أَوْ حَاضِرُ الرَّقْصِ أَوْ السَّمَاعِ لِلدُّفِّ أَوْ الشَّبَّابَةِ، فَهَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ إثْمٌ؟

**الْجَوَابُ:** أَمَّا الْحَدِيثُ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنْ **الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ أَتَرْغَبُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ اُذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ يَحْذَرُهُ النَّاسُ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ**»، [(١)] وَهَذَانِ النَّوْعَانِ يَجُوزُ فِيهِمَا الْغِيبَةُ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، **أَحَدُهُمَا:** أَنْ

(١) **هذا الحديث ضعيف جداً**، وقد ضعفه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٢/ ٥٢).

يَكُونَ الرَّجُلُ مُظْهِرًا لِلْفُجُورِ مِثْلَ: الظُّلْمِ، وَالْفَوَاحِشِ، وَالْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ السُّنَّةَ، فَإِذَا أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ في "صحيحه". (٤٩).

وَفِي الْمُسْنَدِ [(١)] (١٦)، وَالسُّنَنِ [(٢)] (٣٠٥٧): **عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَتَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المائدة:١٠٥]. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ، فَمَنْ أَظْهَرَ الْمُنْكَرَ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ، وَأَنْ يُهْجَرَ وَيُذَمَّ عَلَى ذَلِكَ**». اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٨/ ٢١٩).

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (١٦)، وإسناده صحيح.

(٢) **رواه أبو داود** في "سننه" (٤٣٣٨)، **والترمذي** في "سننه" (٢١٦٨)، **وابن ماجه** في "سننه" (٤٠٠٥)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٨٨).

سؤال: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلُّصِ من الغيبة؟

الجواب: قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ: سَمِعْتُ ابْنَ وَهْبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُوْلُ: نَذَرتُ أَنِّي كُلَّمَا اغْتَبْتُ إِنْسَانًا أَنْ أَصُوْمَ يَوْمًا فَأَجْهَدَنِي فَكُنْتُ أَغْتَابُ وَأَصُوْمُ، فَنَوَيْتُ أَنِّي كُلَمَّا اغْتَبتُ إِنْسَانًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ فَمِنْ حُبِّ الدَّرَاهِمِ تَرَكتُ الغِيْبَةَ.

قُلْتُ: هَكَذَا وَاللهِ كَانَ العُلَمَاءُ، وَهَذَا هُوَ ثَمَرَةُ العِلْمِ النَّافِعِ. اهـ من "سير أعلام" (٨/ ١٥).

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سَمِعْتُ أَبَا عَاصِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُوْلُ: (مُنْذُ عَقَلْتُ أَنَّ الغِيْبَةَ حَرَامٌ مَا اغْتَبتُ أَحَداً قَطُّ). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ١٠٤).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وروينا عن ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (لو كنتُ مُغتاباً أحداً لاغتبتُ والديّ لأنهما أحقُّ بحسناتي). اهـ من "الأذكار" (١/ ٣٤٠).

من أسباب قسوة القلوب مصافحة الرجال للنساء، والنساء للرجال الأجانب في البيوت وفي المناسبات: كالأعياد، والأعراس، وغير ذلك اعتقاداً منهم أنهم قد صاروا إخوة، وقلوبهم نظيفة، وهذا منكرٌ عظيم جداً:

دليل ذلك: عن مَعْقِلُ بْنُ يَسَار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَمَسَّهُ امْرَأَةٌ لَا تَحِلُّ

**لَهُ»**. **رواه الروياني** في "مسنده" (٢/ ٢٢٧)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٤٤٧).

**قال الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الحديث وعيد شديد لمن مسّ امرأة لا تحل له، ففيه دليل على تحريم مصافحة، النساء لأن ذلك مما يشمله المس دون شك، وقد بلي بها كثير من المسلمين في هذا، العصر، وفيهم بعض أهل العلم، ولو أنهم استنكروا ذلك بقلوبهم، لهان الخطب بعض، الشيء، ولكنهم يستحلون ذلك، بشتى الطرق، والتأويلات، وقد بلغنا أن شخصية، كبيرة جداً في الأزهر قد رآه بعضهم يصافح النساء، فإلى الله المشتكى من غربة، الإسلام، بل إن بعض الأحزاب الإسلامية، قد ذهبت إلى القول بجواز المصافحة المذكورة، وفرضت على كل حزبي تبنيه، واحتجت لذلك بما لا يصلح، معرضة عن الاعتبار بهذا، الحديث، والأحاديث الأخرى الصريحة في عدم مشروعية المصافحة، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى برقم (٥٢٦ و ٥٢٧).اهـ من "السلسلة الصحيحة " (١/ ٤٤٦-٤٤٧).

**قلت: ولو تأمل هذا الذي يصافح النساء الأجنبيات اللواتي لا يحلن له، هذا الوعيد الشديد، لما صافح أيّ امرأة لا تحلُّ له، حتى وإن كانت كبيرةً في السن.**

**وعن أميمة بنت رقيقة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة، كقولي لامرأة واحدة**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٧٠٠٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٩).

**سؤال: من هي المرأة الأجنبية التي لا يجوز مصافحتها؟**

**الجواب: قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: المرأة الأجنبية هي التي ليس بينك وبينها محرم مثل بنت العم بنت العمة بنت الخالة وما أشبه ذلك أو من لم يكن من أقاربك فالمراد بالأجنبية هنا من ليست لك بمحرم والخلوة بها حرام وما خلى رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان فما ظنكم بمن ثالثهما الشيطان إنا ظننا بذلك أنهما سيكونا عرضة للفتنة والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٣٦٧).

**سؤال: قد يقول قائل كيف تقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصافح النساء ونهى عن ذلك، وقد كانت الأمة (١) من إماء المدينة تأخذ بيده، وتذهب به إلى المدينة ليقضي غرضها، فكيف يحمل ذلك؟**

**الجواب: يحمل على عدة أمور:**

---

(١) **الأمة**: هي الطفلة الصغيرة.

**الأمر الأول: أن هذا خاص بالنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الأمر الثاني: أن هذه الأمة كانت صغيرة لم تبلغ.**

**الأمر الثالث: أن هذا قبل النهي عن مصافحة النساء الأجانب.**

**سؤال: ما حكم قول بعض الناس عندما يصافح النساء الأجانب، أنا قلبي نظيف؟**

**الجواب:** هذا على خطر عظيم نقول له، هل قلبك أطهر من قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!!فقلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطهر القلوب، وأفضل القلوب على الإطلاق، كما قال عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٣٦٠٠)، وإسناده حسن.

ومع ذلك ما كان يصافح النساء الجانب، فلو كان قلبك طاهراً، كما تزعم فلماذا تصافح النساء الأجنبيات، اللواتي لا يحلن لك مصافحتهن، وكم من إنسان، كان يصافح النساء الأجنبيات، ويختلط بهن فما شعر إلا وقد وقع عليهن بالزنا عياذاً بالله، فهذا في الحقيقة في قلبه مرض كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[سورة الأحزاب:٣٢].

**سؤال: هل يجوز مصافحة العجائز وهل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصافح العجائز؟**

**الجواب: عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كان يصافح العجائز**». **أورده الكسائي** في "بدائع الصنائع" (٥ / ١٢٣)، ولم نهتد لمن أخرجه.

**قلت:** وهذا الحديث لا يثبت لأنه مخالف للأدلة الدالة على تحريم مصافحة المرأة الأجنبية، أيـًا كانت هذه المرأة، ولا فرق بين المرأة الشّابة، والمرأة العجوز، في المصافحة فمصافحتهما حرام.

**قال الزيلعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قَوْلُهُ: (وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَافِحُ الْعَجَائِزَ)**، قُلْتُ: غَرِيبٌ أَيْضـًا.اهـ من "نصب الراية" (٤/ ٢٤٠).

**وقال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: **حَدِيث أَن أَبَا بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُصَافح الْعَجَائِز لم أَجِدهُ أَيْضا. اهـ من "الدراية في تخريج أحاديث الهداية" (٢/ ٢٢٥).

**وقال الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ: وجملة القول أنه لم يصح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه صافح امرأة قط، حتى ولا في المبايعة فضلاً عن المصافحة عند الملاقاة. اهـ من "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٥).

**قلت:** فلم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه، أنهم كانوا يصافحون العجائز، ولا غير العجائز، لأن ذلك حرام.

# لا يجتمع حب القرآن وحب الغناء في قلب مسلم

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حب الكتاب وحب ألحان الغنا *** في قلب عبد ليس يجتمعان [١]

**قال الشيخ خليل الهراس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن أردت أن تحظى بسماع ذلك الغناء العلوي العبقري النشيد فنزه سمعك عن هذه الألحان الدنسة المنطلقة بسعار الشهوة، ولا تؤثر هذا الأدنى الخسيس على الأعلى الشريف النفيس، فيكون مآلك أن تحرمهما جميعًا، وما أقسى الحرمان وما أصعبه، وأن إيثارك هذا السماع الدني المنحط على السماع العلوي الكريم من أمارات نقصانك في عقلك وإيمانك، فكيف يؤثر عاقل لذة حقيرة تفوت وتذهب على لذة عالية تبقى وتخلد؟

---

(١) اهـ من "نونيته" (٣٢٦).

ووالله أن سماع هذه الألحان لأشد فتكاً بالقلب والإيمان من فتك السموم بالأبدان، وأن الذي يجعل هذا السماع ديدنه وهجيراه ويغرم به لا ينفك أبداً من الإشراك بالرحمن، فإن القلب هو بيت الرب جل جلاله ووعاء محبته ومعرفته والإخلاص له، فهو عرش للمثل الأعلى، فإذا خلا من هذه المعالي الكريمة وتعلق بالغناء واللهو الباطل، جعله ذلك عبدا للمغنين والمغنيات لا يلهج إلا بذكرهم، ولا يفكر إلا فيهم، واعتبر بما نراه في هذه الأيام من تعلق هذه الأمة بمن نبغوا في الغناء والطرب، من أمثال أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وصباح وغيرهم، فإنك لا تجد أغلب هذه الأمة إلا عبيداً لهؤلاء، قد فتنوا بهم أعظم فتنة، حتى أن الفتيان والفتيات يحفظون أغنياتهم عن ظهر قلب، وكثير منهم قد لا يحفظ فاتحة الكتاب، فحب القرآن وحب الغناء والألحان في قلب عبد واحد لا يجتمعان. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة لقمان:٦-٧].

والناس قد استثقلوا القرآن لما فيه من قيود التكاليف وشرائع الإيمان، ولكنهم استخفوا اللهو والغناء لما فيه من الطرب والألحان.

أما هذا اللهو والغناء فهو غذاء النفوس المريضة الأمارة بالسوء، ولكن القرآن هو قوت القلوب، ولا يمكن أن يستوي القوتان، ولهذا ترى الغناء هو نصيب أهل النقص القريبين من درجة العجماوات من الجهال والغلمان والنسوان وترى أشدهم تعلقاً به ولذة فيه أقلهم حظاً من العقل السليم فأسأل به خبيراً، وأين لذة الفساق والمجان من لذة الأبرار في العقل والقرآن.اهـ من "شرح الشافية الكافية" (٢/ ٣٧٣).

❊❊❊

# من أمراض القلوب الرياء

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا شيء يحطمُ العلم مثل الرياء، رياء الشرك أو رياء إخلاص، ومثل التسميع بأن يقول مسمعًا علمتُ وحفظت، وعليه فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب)**. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (٧).

**عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**» يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «**إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**». رواه أحمد في "مسنده" (٢٣٦٣٠)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٤).

**الشاهد من الحديث قوله: «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»**.

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء**»، [١] أن الإنسان يرائي في عباداته يصلي لأجل الناس، يتصدق لأجل الناس، يحسن الخلق لأجل الناس.

فهذا رياء، والعياذ بالله، والمرائي حابط عمله، والرياء من صفات المنافقين كما **قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٢].

واعلم أيها المرائي أن الله سيفضحك عن قرب، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «**من راءى راءى الله به**»، يعني أظهر مراءاته، وعيوبه عند الناس «**ومن سمع سمع الله به**» [٢] .اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٦١١).

**وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإنما يتعثر من لم يخلص**). اهـ من "صيد الخاطر" (١/ ٣٦٧).

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٣٦٣٠)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٤)، من حديث **محمود بن لبيد** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٨٦)، من حديث **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٨٥).

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: نعم، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟**

**قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو**

جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار». رواه مسلم في "صحيحه" (١٩٠٥).

**الشاهد من الحديث قوله:** ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

**قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم في طلب العلم أن يخلص نيته لله عز وجل، وألا يبالي أقال الناس أنه عالم، أو شيخ، أو أستاذ، أو مجتهد، أو ما أشبه ذلك لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله عز وجل حفظ الشريعة، وتعليمها، ورفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن عباد الله حتى يكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصديقين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [سورة النساء:٦٩].

وأما من تعلم لغير ذلك، ليقال إنه عالم، وإنه مجتهد، وإنه علامة، وما أشبه لك من الألقاب فهذا عمله حابط، والعياذ بالله، وهو أول من يقضى عليه،

ويسحب على وجهه في النار، ويكذب يوم القيامة، ويوبخ. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٣٤٤).

**وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي كَون الرِّيَاء مُبْطلًا للْعَمَل مُوجبا للإثم كَثِيرَة جدا وَارِدَة فِي أَنْوَاع من الرِّيَاء. الرِّيَاء فِي الْعلم، والرياء فِي الْجِهَاد، والرياء فِي الصَّدَقَة، والرياء فِي أَعمال الْخَيْر على الْعُمُوم، ومجموعها لَا يَفِي بِهِ إي مُصَنف مُسْتَقل.**

**والرياء هُوَ أضرّ الْمعاصِي الْبَاطِنَة، وأشرها مَعَ كَونه لَا فَائِدَة فِيهِ إِلَّا ذهَاب أجر الْعَمَل، والعقوبة على وُقُوعه فِي الطَّاعَة، فَلم يذهب بِهِ مُجَرّد الْعَمَل بل لزم صَاحبه مَعَ ذهَاب عمله الْإِثْم الْبَالِغ، وَمن كَانَ ثَمَرَة ريائه هَذِه الثَّمَرَة، وَعجز عَن صرف نَفسه عَنهُ فَهُوَ من ضعف الْعقل، وحمق الطَّبْع بمَكَان فَوق مَكَان الْمَشْهُورين بالحماقة).** اهـ من "قطر الولي" (١/ ٤٤١).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللهِ الَّتِي لَا تُبَدَّلُ وَسُنَّتُهُ الَّتِي لَا تُحَوَّلُ أَنْ يُلْبِسَ الْمُخْلِصَ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالنُّورِ وَالْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ وَإِقْبَالِ قُلُوبِهِمْ إلَيْهِ مَا هُوَ بِحَسَبِ إخْلَاصِهِ وَنِيَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِرَبِّهِ، وَيُلْبَسَ الْمُرَائِيَ اللَّابِسَ ثَوْبَيْ الزُّورِ مِنْ الْمَقْتِ وَالْمَهَانَةِ وَالْبِغْضَةِ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِهِ؛ فَالْمُخْلِصُ لَهُ الْمَهَابَةُ وَالْمَحَبَّةُ، وَلِلْآخَرِ الْمَقْتُ وَالْبَغْضَاءُ).** اهـ من "أعلام الموقعين" (٤/ ١٥٣).

من أراد أن يعالج نفسه من الرياء فبثلاثةِ أمور:

**أولاً: الدعاء والتضرع بين يدي الله سبحانه وتعالى:**

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **كان عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول في دعائه: **(اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا)**. اهـ من "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٣٧).

**وقال هرم بن حيان لأويس القرني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوصني قال: **(توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك، ونيتك، فلن تعالج شيئًا أشد عليك منهما)**. اهـ من "صفة الصفوة" (٢/ ٣١).

**قلت:** فعلى طلاب العلم أن يكثروا من الدعاء، والتضرع بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصدق، وإخلاص لكي يستجيب الله لهم، ويصرف عنهم هذه المفسدة، وغيرها من المفاسد، والفتن ما ظهر منها وما بطن.

**قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. [سورة غافر: ٦٠].

**وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

**وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**». متفق عليه. (خ١١٤٥-م٧٥٨).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فينبغي للإنسان أن يجتهد بالدعاء في هذا الجزء من الليل رجاء الإجابة)**. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٥٥).

## ثانيًا: مجاهدة النفس على الإخلاص:

**قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده)**. اهـ من "القول السديد في شرح كتاب التوحيد" (١٣٠).

**وقال سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي إنها تنقلب علي)**. اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٢/ ٥٦).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أهم ما يكون من هذا مجاهدة النفس على الإخلاص لله عز وجل في العبادة؛ فإن الإخلاص، أمره عظيم، وشاق جداً، حتى إن بعض السلف يقول: (**ما جاهدت نفسي على شيءٍ مجاهدتها على الإخلاص**) [(١)]، ولهذا كان جزاء المخلصين أن من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه حرمه الله على النار.

لكن متى يكون هذا الأمر؟ إن هذا الأمر شديد جداً، فالمجاهدة على الإخلاص لله من أشق ما يكون على النفوس؛ لأن النفوس لها حظوظ؛ ولأن الإنسان يحب أن يكون مرموقاً عند الناس، ويحب أن يكون محترماً بين الناس، ويحب أن يقال: إن هذا رجل عابد، هذا رجل فيه كذا، وكذا من خصال الخير، فيدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب، ويحمله على مراءاة الناس، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سمع سمّع الله به، ومن راءَى راءى الله به**». [(٢)]يعني أظهر أمره للناس حتى ينكشف، والعياذ بالله. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥١).

---

(١) **قلت: والقائل هو سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تنقلب علي**). اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (٢/ ٥٦).

(٢) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٨٦)، من حديث **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

**وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها، أما إن قصد مراءاة الناس بذلك، أو أراد شيئًا من الدنيا: مالاً، أو جاهًا، أو رئاسة، فعمله حابط، ونفعه قليل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود:١٦].

اهـ من "رسالة في الدعوة إلى الله" (٢٤-٢٥).

**وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإخلاص لا تظن أنه سهل؛ بل إن الإخلاص من أشق الأشياء على النفوس، ولهذا كان من قال: «لا إله إلا الله». خالصة من قلبه دخل الجنة، فالمسألة خطيرة للغاية.**

**ولهذا يجب علينا ن نفتش عن قلوبنا هل نحن مخلصون في أعمالنا، في عبادتنا، في طلبنا للعلم، في كل أحوالنا).** اهـ من "شرح عمدة الأحكام" (١/ ٢٤).

**وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله).** اهـ من "القول السديد" (١٢٩).

**وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن أعمالكم قليلة، فأخلصوا هذا القليل).**

اهـ من "حلية الأولياء" (٤/ ٩٢).

**وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠].

**قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. قال: **(إِنَّهُ لَا يُرَائِي بِعَمَلِهِ أَحَداً)**. اهـ من "تفسيره" (١١/ ٧٠).

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا قال قائل بم يكون الإخلاص في طلب العلم؟ قلنا الإخلاص في طلب العلم يكون في أمور:

**الأمر الأول:** أن تنوي بذلك امتثال أمر الله لأن الله تعالى أمر بذلك قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد:١٩].

وحث سبحانه وتعالى على العلم، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به.

**الثاني:** أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم، والحفظ بالصدور ويكون كذلك بالكتابة كتابة الكتب.

تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها لأنه لولا العلماء ما حميت

**والثالث:** الشريعة ولا دافع عنها أحد، ولهذا نجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم من أهل العلم الذين تصدَّوا لأهل البدع وبيَّنوا بطلان بدعهم نرى أنهم حصلوا على خير كثير.

**والرابع:** أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة.

هذه أمور أربعة كلها يتضمنها قولنا أنه يجب الإخلاص لله في طلب العلم عليه، فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب، كحب الظهور والتفوق على الأقران، وجعله سلمًا لأغراضٍ وأعراض من جاهٍ أو مالٍ أو تعظيم أو سمعة أو طلب محمدة أو صرف وجوه الناس إليك فإن هذه، وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى بل وتحمي الحمى، وللعلماء في هذا أقوال...

هذا صحيح، ما قاله من وجوب حماية النية من هذه المقاصد السيئة فهو صحيح، ومن طلب علمًا وهو مما يبتغى به وجه الله لا يريد إلا أن ينال عرضًا من الدنيا لم يجد رائحة الجنة نسأل الله العافية. اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (٧).

**ثالثًا: التخفي في الأعمال الصالحة وعدم إظهارها إلا من مصلحة:**

**وعلى ذلك أدلة:**

**أولاً: عن سعد ابن أبي وقاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٧٥).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه، وإخوانه خفي، يخفي نفسه، ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علمًا أن يتقوقع في بيته، ولا يُعلم الناس، هذا يعارض التُقى، فتعليمه الناس خيرٌ من كونه يقبع في بيته، ولا ينفع الناس بعلمه، أو يقعد في بيته، ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمَّع نفسه، ويظهر نفسه، ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذٍ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه، فلا بد أن يظهرها، هذا ممن يحبه الله عزّ وجلّ، وفيه الحث على أن الإنسان يكون خفيًا، يكون غنيًا عن غيره عن غير الله عزّ وجلّ، يكون تقيًا لربه سبحانه وتعالى، حتى يعبد الله سبحانه وتعالى في خير وعافية. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥١١).

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**سبعة يظلهم الله في يوم لا ظل إلا ظله... ومنهم... ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**». **متفق عليه**. (خ٦٦٠_م ١٠٣١).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: تصدق بصدقة مخلصاً بذلك لله عزّ وجلّ، حتى إنه لو كان أحداً على يساره ما علم بذلك من شدة الإخفاء فهذا عنده كمال الإخلاص، فيظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا ما لم يكون إظهار الصدقة فيه مصلحة وخير، فإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة، وخير كان إظهارها أولى، لكن إذا لم يكن فيه مصلحة، فالإسرار أولى. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٦٤٠).

**ثانيًا: قال الزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل)**. اهـ من "مصنف ابن شيبة" (٧/ ١٣٢).

**وقال عبد الله بن داود** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيّة من عمل صالح لا يعلم بها زوجه، ولا غيرها، ولقد كانوا يراقبون الله في ظُلم الليل)**. اهـ من "علل الحديث لأبي حفص الفلاس" (١٩٦).

**ثالثًا: عن أُسير بن جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **كان عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على

أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له، والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي».

رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٤٢).

**الشاهد من الحديث قوله:** «أكون في غبراء الناس أحب إلي».

**قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أويس** رَحِمَهُ اللَّهُ من أولياء الله المخلصين المختفين الذين لا يؤبه لهم، ولولا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عنه، ووصفه ونعته بنعته، وعلامته، لَمَا عرفه أحد وكان موجودًا في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن به، وصدقه، ولم يَلْقه، ولا كاتبه، فلم يُعَد من الصحابة.

اهـ من "تطريز رياض الصالحين" (١/ ٢٥٣).

**رابعًا: عن حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ:(**أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ**). **متفق عليه**. (خ٦٥١٤_م٢٢٠).

**قلت: قوله أما إني لم أكن في صلاة، يدل على أنه كان يخفي عمله، ولا يظهره؛ لأن إخفاء العمل أفضل من إظهاره إن لم يكن هناك مصلحة لإظهاره سواء في الصلاة، أو في الصدقة، أو غيرهما.**

**كما قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

**قلت:** لقد كان أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافون من ذلك، فقد كان أحدهم إذا سار في الطريق يسير معه الواحد والاثنان والثلاثة، فإذا زادوا عن أربعة تركهم وانصرف، فلا يحب أن يكون حوله مجموعة من الناس فينظر إليه بعين أن هذا معه مجموعة من الناس، فما كانوا يحبون إلا الاختفاء بالأعمال، والتقرب إلى الله؛ لأنهم تعلموا ذلك من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ من "شرح رياض الصالحين_ حطيبة" (٩/ ٩٣).

**وقال أبو حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٦/ ١٠٠).

**وقال فضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (خير العمل أخفاه، أمنعه من الشيطان وأبعده من الرياء)**. اهـ من "الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا" (١/ ٥٦).

**قلت: وكما قيل إخفاء العمل نجاة، وإخفاء العلم هلكة.**

***

# من أمراض القلوب الحسد

**قال الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساد للدين حتى لقد أمر اللّه بالاستعاذة من شره، فقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق:٥]. اهـ من "أدب الدنيا والدين" (١/ ٢٦٩).

**وقال الحسين بن الفضل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إنّ الله جمع الشرور في هذه الآية** [١] **وختمها بالحسد ليعلم أنه أخسّ الطبائع)**. اهـ من "الكشف البيان" (١٠/ ٣٤٠).

**والحسد**: هو تمني زوال النعمة عن الغير كنعمة العلم، والدعوة، والمال وغير ذلك **قال ابن حبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عَن أخيه)**. اهـ من "روضة العقلاء" (١/ ١٣٣).

**وهو مرض من أمراض القلوب وقل من يخلص ويسلم منه.**

---

(١) **وهي قول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق:٥].

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الْحَسَد مرض من أمراض النَّفس وَهُوَ مرض غَالب فَلَا يخلص مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيل من النَّاس، وَلِهَذَا يُقَال مَا خلا جَسَد من حسد لَكِن اللَّئِيم يبديه والكريم يخفيه)**. اهـ من "أمراض القلوب وشفائها" (١/ ٢١).

**وعن أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**». **متفق عليه**. (خ ٦٠٦٥- م٢٥٥٨).

**قلت: وقوله: «ولا تحاسدوا»** فالمقصود به هنا هو الحسد المذموم الذي يفسد من اتصف به، ويجعله يقع في مفاسد كثيرة.

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **واعلم أن في الحسد مفاسد كثيرة:**

**منها**: أنه تشبه باليهود أخبث عباد الله وأخس عباد الله، الذين جعل الله منهم القردة، والخنازير، وعبد الطاغوت.

**ومنها**: أن فيه دليلاً على خبث نفس الحاسد، وأنه لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه؛ لأن من أحب لإخوانه ما يحب لنفسه، لم يحسد الناس على شيء؛ بل يفرح إذا أنعم الله عليه غيره بنعمة ويقول: اللهم آتني مثلها، **كما قال الله تعالى**:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا

ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ

[سورة النساء:٣٢].

**ومنها:** أن فيه اعتراضاً على قدر الله عزّ وجلّ وقضائه، وإلا فمن الذي أنعم على هذا الرجل؟ الله عَزَّوَجَلَّ فإذا كرهت ذلك، فقد كرهت قضاء الله وقدره، ومعلوم أن الإنسان إذا كره قضاء الله وقدره؛ فإنه على خطر في دينه نسأل الله العافية؛ لأنه يريد أن يزاحم ربّ الأرباب جلّ وعلا في تدبيره وتقديره.

**ومن مفاسد الحسد:** أنه كلما أنعم الله على عباده نعمة؛ التهبت نار الحسد في قلبه فصار دائماً في حسده، وفي غمّ، لأن نعم الله على العباد لا تحصى، وهو رجلٌ خبيث كلما أنعم الله على عبده نعمة على ذلك الحسد في قلبه حتى يحرقه.

**ومن مفاسد الحسد:** أنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب**». [(١)]

---

(١) **هذا الحديث ضعيف: رواه عبد بن حميد** في "المنتخب من المسند" (١٥٣_١٥٤)، والبخاري في "تاريخه" (١_١_٢٧٢)، وغيرهما.

**ومن مفاسده:** أنه يعرقل الإنسان على السعي في الأشياء النافعة؛ لأنه دائماً يفكر، ويكون في غم؛ كيف جاء هذا الرجل مالٌ؟ كيف جاءهم علم؟ كيف جاءه ولد؟ كيف جاءه زوجة ما أشبه ذلك، فتجده دائماً منحسراً منطوياً على نفسه، ليس له هم إلا تتبع نعم الله على العباد، واغتمامه بها، نسأل الله العافية.

**ومن مفاسد الحسد:** أنه يُنبئ عن نفس شريرة ضيقة، لا تحب الخير، وإنما هي نفس أنانية تريد أن يكون كل شيء لها.

**ومن مفاسد الحسد أيضاً:** أنه لا يمكن أن يغير شيء مما قضاه الله عزّ وجلّ أبداً، مهما عملت، ومهما كرهت، ومهما سعيت لإخوانك في إزالة نعم الله عليهم، فإنك لا تستطيع شيئاً.

**ومن مفاسده:** أنه ربما يتدرج بالإنسان إلى أن يصل إلى درجة الذي يحسد الناس؛ لأن العائن نفسه شريرة، حاسدة حاقدة، فإذا رأى ما يعجبه انطلق من هذه النفس الخبيثة مثل السهم حتى يصيب بالعين، فالإنسان إذا حسد، وصار فيه نوع من الحسد، فإنه يترقى به الأمر حتى يكون من أهل العيون الذين

---

ورواه ابن ماجه في "سننه" (٤٢١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنده: عيسى بن عيسى الحناط متروك، وقد ضعف هذا الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الضعيفة" (٤/ ٣٧٥).

يؤذون الناس بأعينهم، ولا شك أن العائن عليه من الوبال، والنقمة بقدر ما ضرّ العباد إن ضرهم بأموالهم فعليه من ذلك إثم أو بأبدانهم أو بمجتمعهم، ولهذا ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى تضمين العائن كل ما أتلف، يعني إذا عان أحداً، وأتلف شيئًا من ماله أو أولاده أو غيرهم، فإنه يضمن، كما أنهم قالوا: إن من اشتهر بذلك، فإنه يجب أن يُحبس إلا أن يتوب، يحبس اتقاء شره، لأنه يؤذي الناس، ويضرهم فيحبس كفًا لشره.

**ومن مفاسد الحسد:** أنه يُؤدي إلى تفرق المسلمين؛ لأن الحاسد مكروه عند الناس مبغض، والإنسان الطيب القلب الذي يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، تجده محبوبًا من الناس، الكل يحبه، ولهذا دائمًا نقول: والله فلان هذا طيب ما في قلبه حسد، وفلان رجلٌ خبيثٌ حسود، وحقود، وما أشبه ذلك.

فهذه عشر مفاسد كلها في الحسد، وبهذا نعرف حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «**لا تحاسدوا**». أي لا يحسد بعضكم بعضًا، فإن قال قائل: ربما يجد الإنسان في نفسه إنه يحب أن يتقدم على غيره في الخير، فهل هذا من الحسد؟ فالجواب: أن ذلك ليس من الحسد؛ بل هذا من التنافس في الخيرات، **قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٦١].

فإذا أحب الإنسان أن يتقدم على غيره في الخير، فهذا ليس من الحسد في شيء الحسد أن يكره الخير لغيره.

**واعلم أن للحسد علامات:** منها أن الحاسد يحب دائماً أن يخفي فضائل غيره، فإذا كان إنسان ذا مال، ينفق ماله في الخير من صدقات، وبناء مساجد، وإصلاح طرق، وشراء كتب يوقفها على طلبة العلم، وغير ذلك فتجد هذا الرجل الحسود إذا تحدث الناس على هذا المحسن يسكت، وكأنه لم يسمع شيئاً، هذا لا شك إن عنده حسداً؛ لأن الذي يحب الخير يحب نشر الخير للغير، فإذا رأيت الرجل إذا تكلم عن أهل الخير بإنصاف، وأثنى عليهم وقال: هذا فيه خيرٌ، وهذا محسن، هذا كريم، فهذا يدل على طيب قلبه وسلامته من الحسد. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الحسد، ومن منكرات الأخلاق والأعمال. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٧٦).

**وجاء عن الزبير بن العوام** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٤١٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١/ ٤).

**قال الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يتساءل بعض القراء الألباء، فيقول: ما الذي يحمل هؤلاء الجهلة على الرد على الألباني، وقد وضع الله له القبول في الأرض بإذنه تعالى، وانتفع بكتبه، ومؤلفاته من شاء الله من العلماء وطلاب العلم؟

**فأقول:** هناك أسباب أهمها أو من أهمها الحسد، مصداق قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي: الحالقة، أما إني لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**». [(١)] اهـ من "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١/ ٤).

**وجاء عن ضمرة بن ثعلبة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**». **رواه الطبراني** في "المعجم الكبير" (٧١٥٨)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٧/ ٣٥١١).

**قال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال ابن طاهر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسمعت أصحابنا بهراة يقولون: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد، ورؤسائه، ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان، ونحن على عزم أن نخرج، ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (١٤١٢)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الأحاديث الصحيحة" (١/ ٤)، من حديث **الزبير بن العوام** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنمًا من نحاس صغيراً، وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا، وقام إلى خلوته، ودخلوا على السلطان، واستغاثوا من الأنصاري، وأنه مجسم، وأنه يترك في محرابه صنمًا يزعم أن الله على صورته إن بعث الآن السلطان يجده فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا، ومعه جماعة فدخلوا الدار، وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم، ورجع الغلام بالصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري.

فأتى فرأى الصنم، والعلماء، والسلطان قد اشتد غضبه، فقال السلطان له: ما هذا؟ قال: هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك؟ قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا، وأنك تقول: إن الله على صورته.

**فقال الأنصاري بصولة وصوت جهوري:** سبحانك هذا بهتان عظيم، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به، فأخرج إلى داره مكرما، وقال لهم: اصدقوني، وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة، فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم، ووكل بكل واحد منهم، وصادرهم وأهانهم. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٨/ ٥١٣).

**قال الإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه القصة أن أبا إسماعيل الهروي على ما فيه من التصوف المبتدع كان رأساً في السنة، فجعل الناس لا يلتفتون إلى علماء عصره، فأراد الفقهاء ذات مرة أن يشينوه. اهـ من شريط: "فيما انتقد على شيخ الإسلام ابن تيمية".

**الشاهد من القصة:** أن السلطان قال لهم: اصدقوني، وهددهم فقالوا: نحن في يد هذا الرجل في بلية من استيلائه علينا بالعامة، فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم، ووكل بكل واحد منهم، وصادرهم، وأهانهم.

**قلت:** والذي حملهم على ذلك هو الحسد الذي حصل منهم فأرادوا تشويه لأن الناس أحبوه، والتفوا حوله، وهكذا كل من كان في قلبه حسد يسعى دائماً لتشويه الصالحين، وأهل الخير إذا رؤى الناس قد أحبوهم والتفوا حولهم.

**قال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الحَاكِمُ: حَدَّثَنَا طَاهِرُ بنُ مُحَمَّدٍ الوَرَّاقُ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ شَاذِلٍ يَقُوْلُ: لَمَّا وَقَعَ بَيْنَ مُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى، وَالبُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دَخَلْتُ عَلَى البُخَارِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَيْشٍ الحِيلَةُ لنا فيما بينك، وبين محمد بن يَحْيَى كُلُّ مَنْ يَخْتلِفُ إِلَيْكَ يُطْرَدُ فَقَالَ: **(كم يَعْتَرِي مُحَمَّدَ بنَ يَحْيَى الحسدُ فِي العِلْمِ، وَالعِلْمُ رِزْقُ اللهِ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ١١٣).

**قلت: فهذا الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم يسلم من الحسد من قبل شيخه الذي تعلم عنده، **فشيخ البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **هو محمد بن يحيى الدهري** امتلأ قلبه حسداً على **البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان يُحرض عليه الناس، ويحاربه كل ذلك بسبب الحسد، فهذا هو الحسد المذموم بعينه، **ورحم الله الإمام مسلم بن الحجاج** إذا يقول عن شيخه **الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**(لَا يُبْغِضُكَ إِلَّا حَاسِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُكَ)**. اهـ من "البداية والنهاية" (١٤/ ٥٣١).

**قلت: ومعلوم أن الحاسد لا يهنئ له عيش إلا بزوال النعمة عن غيره الذي يحسده.**

**وما أحسن ما قاله مُعَاوِيَةُ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ ; فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهُ إِلَّا زَوَالُهَا)**. اهـ من "البداية والنهاية" (١١/ ٤٤٧).

**قلت:** وما من إنسان أنعم الله عليه بنعمة إذا وجد له حاسد، وهذا أمر مشاهد نجده ونلاحظه.

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا بُد لكل نعْمَة من حَاسِد، وَلكُل حق من جَاحد ومعاند)**. اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٧).

**وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(مَا كَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَجَدَ لَهَا حَاسِداً)**. اهـ من "أدب الدنيا والدين" (١/ ٢٧١).

**وقال ابن حبان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عَن أخيه)**. اهـ من "روضة العقلاء" (١/ ١٣٣).

**وقال الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **قال بعض البلغاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الناس حاسد ومحسود، ولكل نعمة حسود)**.اهـ من "أدب الدنيا والدين" (٢٦٩).

**قلت:** فعلى ذلك ينبغي للإنسان أن يخفي ما أنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من النعم إن خشي أن يحسد عليها، لأنه لا ينبغي للحُساد أن يطلعوا على النعم، **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَعْظَمَ النِّعْمَةِ الْإِقْبَالُ وَالتَّعَبُّدُ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ حَاسِدٌ عَلَى قَدْرِهَا دَقَّتْ أَوْ جَلَّتْ، وَلَا نِعْمَةَ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَإِنَّ أَنْفُسَ الْحَاسِدِينَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَا، وَلَيْسَ لِلْمَحْسُودِ أَسْلَمُ مِنْ إخْفَاءِ نِعْمَتِهِ عَنْ الْحَاسِدِ. وَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [سورة يوسف:٥].

وَكَمْ مِنْ صَاحِبِ قَلْبٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَحَالٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى قَدْ تَحَدَّثَ بِهَا وَأَخْبَرَ بِهَا فَسَلَبَهُ إيَّاهَا الْأَغْيَارُ؛ وَلِهَذَا يُوصِي الْعَارِفُونَ وَالشُّيُوخُ بِحِفْظِ السِّرِّ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.اهـ من "مجموع الفتاوى" (١٥/ ١٨).

**ومن أعظم العلاج لهذه المرض ما يلي:**

**أولاً: ترك الحسد، وتنقيت القلب منه.**

**دليل ذلك: جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**». **رواه ابن ماجه** في "سننه" (٤٢١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٣٢).

**الشاهد من الحديث قوله: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».**

**قلت:** ومعنى ذلك أن يسعى العبد المؤمن إلى تطهير قلبه، وتنقيته من الحسد، ويكون ذلك بالدعاء، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠].

**ومعنى:** غلاً أي: حسداً، فهذا وصف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصف فيه عباده المؤمنين أنهم كانوا يدعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يطهر قلوبهم من الغل والحسد، وأن لا يجعل في قلوبهم لا غل، ولا حسد على الآخرين.

وكان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا». (١)

**قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سواه، وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة غير الله معه ومن خوفه ورجائه والتوكل عليه، والإنابة إليه، والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد من سخطه بكل طريق. وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده.**

---

(١) **وإليك الحديث بتمامه: عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ** قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ، وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١٧١١٤)، وحسنه **الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "السلسلة الصحيحة" (٧/ ٦٩٥).

**فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة، وتوكلاً، وإنابة، وإخباتـًا، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله**.اهـ من "إغاثة اللهفان" (١/ ٧).

**وفي ترجمة العلامة ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "كتاب الإنجاز في **ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ" (٢٨٢)، لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة: أن الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان سأل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لماذا نجد لك كلَّ هذا القبول والحُبَّ في قلوب الناس؟

غير أن **الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجبه ورغب الإعراض عن مثل هذا السؤال إلا أن الشيخ عبد العزيز السدحان ألحّ عليه في ذلك، موضحـًا أن الغاية من هذا أن يستفيد الجميع فكان مما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **إنني لا أحمل في قلبي شيئـًا**.اهـ.[1]

**ثانيـًا: محبة الخير للغير.**

**فعن أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال: لجاره ما يحب لنفسه**». **متفق عليه**. (خ ١٣_ م٤٥).

---

(١) **وانظر**: "موسوعة إمام المسلمين في القرن العسرين" (١/ ١٠٣).

**قال العلماء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معناه لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة.

**وقال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إذا كنت لا تحب لأخيك ما تحبه لنفسك فأنت مصر على كبيرة من كبائر الذنوب)**. اهـ من "فتح ذي الجلال والإكرام" (٣/ ٥٣٦).

**وعن معاذ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أفضل الإيمان قال: **«أن تحب لله، وتبغض لله، وتعمل لسانك في ذكر الله»**. قال: **وماذا يا رسول الله؟** قال: **«وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»**.

**رواه أحمد** في "مسنده" (٢٢١٣٢)، وهو حديث صحيح.

**الشاهد من الحديث قوله: «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»**.

**وعن عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»**. **رواه مسلم** في "صحيحه" (١٨٤٤).

**الشاهد من الحديث قوله: «وليأتِ إلى الناس الذي يُحب أن يُؤتى إليه»**.

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك فإن كثرة**

**الضحك تميت القلب»**. رواه ابن ماجه في "سننه" (٤٢١٧)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٦٠١).

**الشاهد من الحديث قوله: «وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا»**.

**قلت:** والحسد يعالج بأمور هي له حسم، إن صادفها عزم، **فمنها:** اتباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى الله عز وجل في آدابه فيقهر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لؤم طبعها، وإن كان نقل الطباع عسراً، لكن بالرياضة، والتدريج يسهل منها ما استصعب، ويحبب منها ما أتعب.

**ومنها:** العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستنكف من هجنة مساويه فيذلل نفسه أنفة، ويطهرها حمية، فتذعن لرشدها، وتجيب إلى صلاحها.

وهذا إنما يصح لدى النفس الأبية، والهمة العلية، وإن كان ذو الهمة يجل عن دناءة الحسد.

**ومنها:** أن يستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد، فيستعمل الحزم في دفع ما كده، وأكمده، ليكون أطيب نفساً وأهنأ عيشاً.

**ومنها:** أن يرضى بالقضاء، ويستسلم للمقدور، ولا يرى أن يغالب قضاء الله، فيرجع مغلوبـًا، ولا أن يعارضه في أمره، فيرد محرومـًا مسلوبـًا.

فإن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب، واقتادته المراشد إلى استعمال الصواب، سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلاً، واعتاض من الذم حمداً، ولمن استنزل نفسه عن مذمة، وصرفها عن لائمة هو أظهر حزمـًا، وأقوى عزمـًا، ممن كفته النفس جهادها، وأعطته قيادها. اهـ من "أدب الدنيا والدين" للماوردي (٢٦٢- ٢٦٤).

**ثالثـًا: أن يعلم الحاسد أنه إنما يضر نفسه.**

**قال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات: أحدها: اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام.**

**الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله.**

**الثالثة: تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين، فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة.**

**وقال حكيم الشعراء:**

وأظلم خلق الله من بات حاسداً *** لمن بات في نعمائه يتقلب [1]

ولله در القائل:

وإني لأرحم حسّادي لفرط ما *** ضمّت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم *** في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم *** قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم *** ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته، ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها *** إلا عداوة من عاداك من حسد

## علاج دفع شر الحاسد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

أحدها: التعوذ بالله تعالى من شره، واللجوء والتحصن به واللجوء إليه، وهو المقصود بهذه السورة، والله تعالى سميع لاستعاذته عليم بما يستعيذ منه،

---

(١) اهـ من "التسهيل لعلوم التنزيل" (٢/ ٥٢٧).

والسمع هنا المراد به سمع الإجابة لا السمع العام فهو مثل قوله: «**سمع الله لمن حمده**»، وقول الخليل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [سورة إبراهيم:٣٩].

ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك، فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله تعالى يراه، ويعلم كيده، وشره فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ أنه سميع لاستعاذته أي مجيب عليم بكيد عدوه يراه، ويبصره لينبسط أمل المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء، وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم، وجوده، ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف، والسجدة، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون، ويرون بالإبصار بلفظ السميع البصير في سورة حم المؤمن فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سورة غافر:٥٦].

لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر، وأما نزع الشيطان فوساوس، وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم

فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر، ويدرك بالرؤية والله أعلم.

**السبب الثاني:** تقوى الله، وحفظه عند أمره، ونهيه فمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لعبد الله بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**». (١) صحيح فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ولمن يحذر.

**السبب الثالث:** الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نصر على حاسده، وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره، وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً، وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نفسه، ولو رأي المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٥١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٤٩٧)، من حديث **ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لا يرى إلا صورة البغي دون آخره، ومآله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [سورة الحج:٦٠].

فإذا كان الله قد ضمن، فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولا فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه بل بغى عليه، وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي، وقطيعة الرحم، وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكًا.

**السبب الرابع:** التوكل على الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه أي كافية، ومن كان الله كافيه، وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد، والجوع، والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له، وهو في الحقيقة إحسان إليه، وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال عض السلف جعل الله تعالى لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣].

ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه، وحسبه، وواقيه فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السموات والأرض، ومن فيهن لجعل له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره، وقد ذكرنا حقيقة التوكل، وفوائده، وعظم منفعته، وشدة حاجة العبد إليه في "كتاب الفتح القدسي" وذكرنا هناك فساد من جعله من المقامات المعلولة أنه من مقامات العوام، وأبطلنا قوله من وجوه كثيرة، وبينا أنه من أجل مقامات العارفين، وأنه كلما علا مقام العبد كانت حاجاته إلى التوكل أعظم، وأشد، وأنه على قدر إيمان العبد يكون توكله، وإنما المقصود هنا ذكر الأسباب التي يندفع بها شر الحاسد، والعائن، والساحر، والباغي.

**السبب الخامس:** فراغ القلب من الاشتغال به، والفكر فيه وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه، ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له، ولا تماسك هو، وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه فإذا تماسكًا، وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواء فإذا علق روحه، وشبثها به وروح الحاسد

الباغي متعلقة به يقظة، ومناماً لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان، ويتشبثا فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار، ودام الشر حتى يهلك أحدهما: فإذا جبذ روحه عنه، وصانها عن الفكر فيه، والتعلق به، وأن لا يخطره بباله فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضاً، فإن الحسد كالنار فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضاً، وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة، والهمم العالية، وبين الكيس الفطن، وبينه حتى يذوق حلاوته، وطيبه، ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب، والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به، ولا يرى شيئاً ألم لروحه من ذلك، ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوارعة اللينة التي رضيت بوكالة الله لها، وعلمت أن نصره له خير من انتصارها هي لنفسها فوثقت بالله، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعده صدق، وأنه لا أوفى بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلاً فعلمت أن نصره لها أقوى، وأثبت، وأدوم، وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا إلا **بالسبب السادس:** وهو الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته، وترضيه، والإنابة إليه في محل خواطر نفسه، وأمانيها تدب فيها دبيب الخواطر شيئاً فشيئاً حتى

يقهرها، ويغمرها، ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره، وهواجسه، وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه، وتملقه، وترضيه، واستعطافه، وذكره كما يذكر المحب التام المحبة لمحبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يجعل بيت إنكاره، وقلبه معموراً بالفكر في حاسده، والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه، والتدبير عليه هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله، وإجلاله، وطلب مرضاته بل إذا مسه طيف، من ذلك، واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه إياك، وحمى الملك اذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حل فيها، ونزل بها ما لك، ولبيت السلطان الذي أقام عليه أليزك، وأدار عليه الحرس، وأحاطه بالسور قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه **قال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة الحجر:٤٠].

**وقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [سورة الحجر:٤٢].

**وقال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠٠].

وقال في حق الصديق: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٤].

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل أليزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به، ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الجمعة: ٤].

**السبب السابع:** تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما علمه، وعمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لم لا أعلم**».(١) فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب، ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له، ونال منه فقال: له قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك فدخل فسجد لله، وتضرع إليه، وتاب، وأناب إلى ربه ثم خرج إليه فقال له: ما صنعت فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي، وسنذكر إن شاء الله تعالى أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب، وموجباتها فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بغي عليه، وأوذي، وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته أن يعكس فكره، ونظره على نفسه، وذنوبه، وعيوبه فيشغل بها، وبإصلاحها، وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة، وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته، وحفظه، والدفع عنه، ولا بد فما أسعده من عبد، وما أبركها من نازلة نزلت به، وما

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٧١٦)، من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أحسن أثرها عليه، ولكن التوفيق، والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع فما كل أحد يوفق لهذا لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**السبب الثامن:** الصدقة، والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً، وحديثاً لكفى به فما يكاد العين، والحسد، والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف، والمعونة، والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه، وصدقته عليه من الله جنة، واقية، وحصن حصين، وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها، ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر، ولا يني، ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفيء ناره لا أطفأها الله فما حرس العبد نعمة الله تعالى عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة، وهو باب إلى كفران المنعم فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه، وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له

جند، ولا عسكر، وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه، وإن تأخرت مدة الظفر والله المستعان.

**السبب التاسع**: وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد، والباغي، والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذى، وشراً وبغياً، وحسداً ازددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠].

**وقال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة القصص:٥٤].

وتأمل حال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حكى عنه نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أنه ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: اللهم اغفر لقومي**

**فإنهم لا يعلمون»**. [1] رواه البخاري ومسلم كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه **أحدها:** عفوه عنهم **والثاني:** استغفاره لهم **الثالث:** اعتذاره بأنهم لا يعلمون **الرابع:** استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها، وينعمها به اعلم أن لك ذنوبـًا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها، ويغفرها لك، ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو، والمسامحة حتى ينعم عليك، ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع، والإحسان فوق ما تؤمله فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولاك، وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك، وإساءتك جزاء، وفاقـًا فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى، وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى ما أساء إليه هذا مع

---

(١) **متفق عليه**. (خ٣٤٧٧_ م ١٧٩٢)، من حديث **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ما يحصل له بذلك من نصر الله، ومعيته الخاصة كما قال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال: «**لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**». (١) رواه مسلم هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإنه كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه، وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر الله عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم، ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً، ولا خبراً هذا مع أنه لا بد له مع عدوه، وحاسده من إحدى حالتين إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده، وينقاد له، ويذل له، ويبقى من أحب الناس إليه، وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا إله غيره، وهو المسئول أن يستعملنا، وإخواننا في ذلك بمنه، وكرمه، وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة، وآجلة سنذكرها في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**السبب العاشر:** وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه آلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها، وفاطرها وبارئها، ولا تضر، ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذي يحسن عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [سورة يونس:١٠٧].

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك**». (١) صحيح فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله تعالى بل يفرد الله بالمخافة، وقد أمنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به، واشتغاله به، وفكره فيه، وتجرد الله محبة، وخشية، وإنابة، وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه، واشتغاله

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٥١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٥/ ٤٩٧)، من حديث **عبد الله بن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

به من نقص توحيده وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولى حفظه، والدفع عنه فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمنًا فالله يدافع عنه ولا بد وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه فإن كمل إيمانه كان دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرة ومرة، فالله له مرة ومرة، كما قال بعض السلف من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة، ومرة فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف: (**من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء**).[1] فهذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد، والعائن، والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله، وإقباله عليه، وتوكله عليه، وثقته به وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجوا سواه بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجوا إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره، ورجاه، وخافه وكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئًا غير الله سلط عليه، ومن رجاء شيئًا

---

(١) **قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال: (**يا أبا سلمة مالي كلما نظرت إليك ارتعدت فرقا منك، قال: لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به الكنوز خاف من كل شيء**).اهـ من "ذم المال والجاه" (٥٦).

سوى الله خذل من جهته، وحرم خيره هذه سنة الله في خلقه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [سورة الفتح:٢٣].اهـ من "بدائع الفوائد" (٢/ ٣٣٨).

## ومما يستثنى من الحسد:

**قلت:** ويستثنى من الحسد؛ الحسد الذي هو بمعنى الغبطة، وضابطه أن يتمنى المسلم أن يكون له من العلم، والخير كأخيه، وهذا ممدوح، ويكون من باب التنافس والتسابق لحفظ القرآن وتعلم العلم، وعلى فعل الخير والحرص عليه فهذا جائز.

**بدليل: جاء عن ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**». **متفق عليه**. (خ ٥٠٢٥- م٨١٥).

**قلت:** والمقصود بالحسد في الحديث أن تغبط هذا الإنسان، وتحب النعمة التي هو فيها، وتتمنى بقاءها، وتتمنى أن يكون لك مثل هذا الإنسان، ولا تتمنى فقط بل تتمنى وتحاول، وقد تجد إنسانًا يقول: ليتني أكون مثل هذا الرجل الذي يحفظ القرآن، لكنه لم يعمل شيئًا، ولم يحاول أن يحفظ القرآن،

وقد تجد إنساناً يريد أن يحج، فتسمع آخر يقول: يا ليتني أحج، فتسأله يا فلان هل ذهبت للحج من قبل؟ فيقول: لا.

فتقول له: هل لديك مال للحج؟ فيقول: نعم.

إذاً ما معنى قولك يا ليت؟ فاذهب وحج، وإذا منعت رجوت من الله أن يكتب لك الأجر على ذلك، وأما أن تتمنى الحج مع وجود المال، ومع وجود الاستطاعة، ولم تصنع شيئاً فهذا من العجز، بل إن الذي يتمنى الخير عليه أن يعمل حتى يصل إلى أمنيته الصالحة، ولا يتمنى ثم يقعد.

فإذا قلت: يا ليتني أحفظ القرآن، فحاول أن تفتح المصحف ثم احفظ آية أو آيتين، واحذر من الشره، فإنها إذا أتت الإنسان تجده يقول: أريد أن أحفظ القرآن، فيأخذ المصحف، ويريد أن يحفظ ربعين في اليوم، فلا يستطيع ويصعب عليه وينسى، ثم يمل ويترك، ولكن احفظ كما كان يحفظ الصحابة، فقد كانوا يحفظون بعض الآيات، ثم أتقن هذه الآيات، وافهم معانيها، ثم انتقل إلى غيرها، ولو تحفظ القرآن في عشر سنين أو في عشرين سنة، ولو قسمت القرآن على عشرين سنة أو ثلاثين سنة وعلم الله من حالك أنك تريد أن تحفظ القرآن فلعله يحشرك مع من يحفظ القرآن، حتى وإن مت قبل أن تحفظ فالله يعاملك بنيتك، فإذا أحسنت النية أعطاك الله عز وجل أحسن

الجزاء، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أحد الاثنين: «**رجل آتاه الله القرآن فحفظه وعلمه، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**». (١)

فاحرص على حفظ القرآن، واحرص على أن تحفظ أولادك كتاب الله سبحانه وتعالى، وإذا حفظت شيئًا فشيئًا فستحفظ في يوم من الأيام بفضل الله سبحانه وتعالى القرآن كاملاً.

وليكن عملك لله عز وجل، فلا تطلب بعملك الدنيا، وكذلك في أبنائك، فلا يكن الأمر أنك تريد من أبنائك أن يحفظوا القرآن لكي تفتخر بذلك فقط، فلعلك بشؤم هذا الكلام والافتخار تنسف كل ما حفظوه، فتعلم القرآن لله عز وجل وليس للتفاخر على الناس، وليس لأجل أنا ولدي أفضل من ولدك، فإن هذا لا يعرف إلا يوم القيامة، ومن أخلص لله كان له الفضل عند الله سبحانه وتعالى، وكم من إنسان حفظ القرآن وهو صغير، فلما كبر وصار رجلاً وشابًا إذا به ينسي ما حفظه بسبب الغرور.

وكم رأينا من أطفال صغار من سنين طويلة يكون عمره ست سنين، وقد حفظ القرآن كاملاً، ويكون عمره ثمان سنين، وقد صنع حفلة لأجل أنه أكمل

---

(١) تقدم تخريجه.

القرآن، والآن لما ننظر أين هذا الإنسان تجده قد نسي القرآن، وانشغل بالدنيا، ولها، ولعب مع اللاعبين، وذهب ما حفظ من القرآن.

فأنت عندما تحفِّظ ولدك كتاب الله ابتغ الأجر من الله، وحافظ له على ما حفظ من القرآن، وراجع معه، ومره ليل نهار بمراجعة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واحذر من الفخر حتى لا يضيع ثواب عملك، وحتى لا تجد شؤم هذا الافتخار في النسيان، وعدم الاستذكار، فتضيع منك الدنيا والآخرة.

والولد الذي يحفظ القرآن يأتي يوم القيامة، فيكسو الله عز وجل والديه بحلة من عنده سبحانه وتعالى، فيسألان الله عز وجل: بأي شيء هذا؟ فيقول: بحفظ ولدكما للقرآن.

إذاً فاطلب بعملك دائماً وجه الله سبحانه، واحذر من الدنيا، فإن الدنيا لن تدوم لك، ولن تدوم أنت فيها، فلا معنى لأن تتكالب عليها وتطلبها، أو تطلب أن يشير الناس إليك.

لقد كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافون من ذلك، فقد كان أحدهم إذا سار في الطريق يسير معه الواحد والاثنان والثلاثة، فإذا زادوا عن أربعة تركهم وانصرف، فلا يحب أن يكون حوله مجموعة من الناس فينظر إليه بعين أن

هذا معه مجموعة من الناس، فما كانوا يحبون إلا الاختفاء بالأعمال، والتقرب إلى الله؛ لأنهم تعلموا ذلك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجل في المسجد قائم يصلي يطول في صلاته ومعه رجل بجواره، والحديث في مسند الإمام أحمد، فيقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن معه: (**أتراه يرائي؟**) يعني: لماذا يطول في الصلاة في المسجد في غير صلاة الفريضة؟ فقال الرجل: كعادة أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طيب القلوب، وحسن الظن قال: (يا رسول الله! هو من أعبد أهل المدينة، فسكت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانطلق إلى بيته، فلما وصل قال فنفض يده من يده وقال: «**إن أحب دينكم إلى الله أيسره**» [1] فالله لم يطلب من الناس أن يصلوا في المسجد بهذه الصورة، ولكن من أراد أن يطول في صلاته ففي بيته لكن أمام الناس لا؛ فإن الناس سيتنافسون في ذلك، فإذا صلى أحدهم نصف ساعة فإن الآخر يقول: سأصلي ساعة كاملة، والثالث يقول: سأصلي ساعتين، فتصبح الصلاة للتظاهر والتفاخر.

---

(١) **رواه أحمد** في "مسنده" (١٨٩٧٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ١٧٩)، من حديث **بريدة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والفريضة قد علمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف نصليها ونقرأ فيها، فنصلي كما صلى صلوات الله وسلامه عليه، والمطلوب في الفريضة الإظهار، والمطلوب في النافلة الاستتار، وتطلب الأجر من الله سبحانه وتعالى بالفريضة والنافلة.

نرجع للحديث قال: «**ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**» «**رجل آتاه الله مالاً**». (١) من نعم الله عز وجل على العبد أن يعطيه المال، ويعطيه البنين، والإنسان طالما أنه يحافظ على النعمة، وينفق لله عز وجل، فإن الله يبقيها في يده، كما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إن الله عز وجل جعل منافع العباد عند أقوام، فأعطاهم نعمًا -هذا معنى حديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبقيها فيهم ما كان العباد ينتفعون بهم، فإذا تركوا أخذها الله عز وجل منهم**». (٢)

وإذا آتاك الله مالاً فاعلم أن المال مال الله عز وجل، وأن فيه حقوقًا عليك، فإذا أعطاك ألفًا فعليك زكاة في هذه الألف إذا مر عليها سنة مقدارها خمس

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الحديث بتمامه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ**». رواه الطبراني في "الأوسط" (٥١٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٢٦٤).

وعشرون، فتعطيها للفقراء، فإذا أعطيتها للفقراء أبقى الله النعمة في يدك؛ لأنك عرفت حق الله.

فإذا كانت أكثر من ذلك أعطيت زكاتها، وتصدقت على من يحتاج بشيء من مالك، وأعطيت بالليل وبالنهار، قليلاً وكثيراً، ومستحيل أن تنفق ولا يعطيك الله وطالما أنك تنفق ونيتك حسنة، فإن الله يعطيك ويبقي النعمة في يدك، إلى أن يضن الإنسان ويشح بماله ويرفض أن يعطي الحق للفقراء، فيأخذ الله عز وجل منه هذه النعمة ويحولها إلى غيره.

والفقراء والضعفاء يسألون الله عز وجل، فيأت الله عز وجل بهذه الأرزاق التي تصل إلينا، والأرزاق لها أسباب، فإما أن تكون سببًا من هذه الأسباب فيعطيك النعمة ويفيض عليك من نهر نعمه سبحانه.

فإذا أعطاك الله فأعط الفقراء والضعفاء مما أعطاك الله عز وجل، وإذا منعت عنهم منع الله عنك العطاء وأعطاه لغيرك، ولن يحرم الله عز وجل الفقراء من رزقه وفضله وكرمه، ولكن يسبب الأسباب، فإذا أعطاك الله النعمة فأعط لخلق الله عز وجل ما وجب عليك، وأعط أكثر من ذلك مما تقتدي فيه بالنبي صلوات الله وسلامه عليه وبعباد الله الصالحين، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)**.

أي: في أحايين الليل وساعاته، وبالنهار وأوقاته، وفي رواية أخرى قال: (سلطه على هلكته في الحق) فهو يعطي وينفق المال لله، والله عظيم كريم، نسأل الله من فضله ورحمته فإنه لا يملكها إلا هو. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٩/ ٩٣).

**وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**». **رواه البخاري** في "صحيحه" (٥٠٢٦).

**الشاهد من الحديث قوله:** «لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».

**وجاء عن كبشة الأنماري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ**

بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رواه الترمذي في "سننه" (٢٣٢٥)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ٥).

الشاهد من الحديث قوله: «لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ».

قلت: فمن خلال هذه الأدلة تبين لنا أنه يجوز للإنسان أن، يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة التي هي عند غيره من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد، وإنما هو غبطة يغبط الذي عند غيره، ويكون له مثله، فيجوز لك أن تغبط هذا الشخص على ما عنده من العلم، وحفظ القرآن، والخير، وغير ذلك، فقد كان عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يغبط الحجاج على حفظه للقرآن، قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مَا حَسَدْتُ الْحَجَّاجَ عَدُوَّ اللهِ عَلَى شَيْءٍ حَسَدِي إِيَّاهُ عَلَى حُبِّهِ الْقُرْآنَ وَإِعْطَائِهِ أَهْلَهُ). اهـ من "تاريخ الإسلام" (٦/ ٣٢٦).

وقال داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجل يقوم من الليل؛ فإني أحب أن أرزق قيام الليل، قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل فإذا غلبته عيناه احتبى [1] قاعداً). اهـ من "جامع العلوم الحكم" (١٧٦).

***

(١) الاحْتِبَاء: هو أن يَضُمّ الإنسان رجْلَيْه إلى بَطْنه بثَوْب يَجْمَعُهُما به مع ظَهْره، ويَشُدُّه عليها، وقد يكون الاحتباء باليَدَيْن عوَض الثَّوب.

# من أمراض القلوب الحقد

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتش قلبك -يا أخي- هل فيك رياء؟ هل فيك كراهة للحق؟ هل فيك بغضاء للمؤمنين؟ هل فيك حقد على المؤمنين؟ فإن غسيل القلب كل يوم أهم من غسيل الثياب كل يوم، اغسل قلبك وطهره، يقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ٤١]. فطهر قلبك.

اللهم طهر قلوبنا يا رب العالمين، الله طهرها من الرياء، اللهم طهرها من البغضاء على المسلمين ومن الحقد عليهم يا رب العالمين، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة واجعلنا ممن كتبت له الحسنى وزيادة. اهـ من "اللقاء الشهري" (٧٥/ ٢).

***

# من أمراض القلوب الكبر

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **كثير من المنتسبين إلى العلم يُبتلى بالكِبْر كما يُبتلى كثيرٌ من أهل العبادة بالشرك ولهذا فإن آفة العلم الكِبْر وآفة العبادة الرياء وهؤلاء يُحْرَمون حقيقة العلم كما قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف:١٤٦].اهـ من "الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق" (١/ ٢٠٨).

**وقال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا أبو حيان، عن أبيه، قال: **التقى عبد الله بن عمرو** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **وعبد الله بن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثم أقبل عبد الله بن عمر وهو يبكي، فقال له القوم: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: الذي حدثني هذا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يدخل الجنة إنسان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٦٥٢٦)، **وإسناده حسن**.

**وجاء عن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٩١).

**وجاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده،** أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة، أمثال الذر، في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال، عصارة أهل النار**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٦٦٧٧)، وإسناده حسن.

**وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَحَاجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ، وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمْ مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨٤٦).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَلْيَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ طُغْيَانِ (أَنَا)، (وَلِي)، (وعِنْدِي)، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ ابْتُلِيَ بِهَا إِبْلِيسُ وفرعون، وقارون: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [سورة الأعراف:١٢]. لِإِبْلِيسَ، وَ: ﴿لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [سورة الزخرف:٥١].لفرعون، وَ:﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة القصص:٧٨]. لقارون.اهـ من "زاد المعاد" (٢/ ٤٣٤).

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(العاصي الخائف خير من العابد المتكبر)**.اهـ من "أنيس المحبين" (١٠٦).

**واعلم أن علاج هذه المفسدة البراءة من الكبر والتواضع، وخفض الجناح للمؤمنين، وقبول الحق ممن جاء به.**

**وعلى ذلك أدلة وهي:**

**أولاً: عَنْ ثَوْبَانَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: الكِبْرِ، وَالغُلُولِ، وَالدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»**. **رواه الترمذي** في "سننه" (١٥٧٢)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ١٦٠) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**ثانيًا: عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو، إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٨٨).

**وعن عياض بن حمار** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٨٦٥).

**وقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الحجر:٨٨].

**قال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: (**ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكرامًا وتوددًا**). اهـ من "تفسيره" (٤٣٤).

**وقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٥].

**قال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٩].

فهذه أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول فظيعه؟.

إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق، والمداهنة، وقد كمل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان، وخدعه له. اهـ من "تفسيره" (٥٩٨).

**وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن آتانا منكم كملة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولا ضربت الجدار بكل ما خالفها)**. اهـ من "رسائل شخصية" (٢٥٢).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا تَصِحُّ لَكَ دَرَجَةُ التَّوَاضُعِ حَتَّى تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ تُحِبُّ وَمِمَّنْ تُبْغِضُ، فَتَقْبَلُهُ مِنْ عَدُوِّكَ كَمَا تَقْبَلُهُ مِنْ وَلِيِّكَ)**. اهـ من "مدارج السالكين" (٢/ ٣٢١).

**وقال ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها، فكأن سائلاً سأله ما صعد بك هاهنا أعني في رأس الشجرة، وأنت قد نزلت تحت أصلها، فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه الله)**. اهـ من "المدخل" (٢/ ١٢٠).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فعلى المسلم أن يتبع هدى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبول الحق ممن جاء به من ولي وعدو، وحبيب، وبغيض، وبر، وفاجر، ويرد الباطل على من قاله كائنا من كان)**. اهـ من "إعلام الموقعين" (١/ ١٠٤).

**وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدي لما اختلف فيه من الحق)**. اهـ من "الصواعق المرسلة" (١/ ١٨).

**وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن هنا قال بعض السَّلف: التَّواضُعُ أنْ تَقْبَلَ الحقَّ مِن كلِّ من جاء به، وإنْ كان صغيراً، فمن قَبِلَ الحقَّ ممَّن جاء به، سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان يحبُّه أو لا يحبه، فهو متواضع، ومن أبى قَبُولَ الحقِّ تعاظُمـًا عليه، فهو متكبِّرٌ)**. اهـ من "جامع العلوم والحكم" (١/ ٣٣٢).

**وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التَّوَاضُعُ مِنْ أَخْلاَقِ الكرَامِ وَالتَّكبرُ مِنْ شِيَمِ اللِّئَامِ التَّوَاضُعُ يُوْرِثُ المَحَبَّةَ، وَالقنَاعَةُ تُوْرِثُ الرَّاحَةَ)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٨/ ٢٨٠).

**ثالثـًا: البدء بالسلام كل من لقيت من أهل الإسلام.**

**قال ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(إن من التواضع أن تبدأ بالسلام كل من لقيت)**. اهـ من "بهجة المجالس وأنس الجالس" (١/ ١٦٠).

**رابعـًا: أن يتواضع لمن هو دونه بالعلم.**

**قال ابن جريج** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **عن عطاء** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: **(إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٥/ ٨٦).

**خامسـًا: أن تخضع للحق، وتقبله ففي ذلك رفعة لك.**

**قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التواضع أن تخضع للحق، وتنقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته)**. اهـ من "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (١٠٥٤).

**وقال ابن الحجر الهيثمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله عز وجل)**. اهـ من "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (١/ ١٢٤).

**وقال الخطيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقَلَّهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَآدَابِهِ وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا)**. اهـ من "الجامع لأخلاق الراوي" (١/ ٧٨).

❊❊❊

# من أمراض القلوب حب العلو

**قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص:٨٣].

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ النَّاسَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

**الْقِسْمُ الْأَوَّلُ**: يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ عَلَى النَّاسِ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ مَعْصِيَةُ اللهِ وَهَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ وَالرُّؤَسَاءُ الْمُفْسِدُونَ كَفِرْعَوْنَ وَحِزْبِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ. **قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص:٤].

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ [١] عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ

---

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٩١).

ثَوْبِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنًا. أَفَمِنْ الْكِبْرِ ذَاكَ؟ قَالَ: لَا؛ «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». فَبَطَرُ الْحَقِّ دَفْعُهُ وَجَحْدُهُ، وَغَمْطُ النَّاسِ احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ، وَهَذَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَالْفَسَادَ.

**وَالْقِسْمُ الثَّانِي**: الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْفَسَادَ بِلَا عُلُوٍّ: كَالسُّرَّاقِ وَالْمُجْرِمِينَ مِنْ سَفَلَةِ النَّاسِ.

**وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ**: **يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ بِلَا فَسَادٍ كَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلُوا بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ النَّاسِ.**

وَأَمَّا **الْقِسْمُ الرَّابِعُ**: فَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ يَكُونُونَ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَا **قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩].

**وقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٥].

**وقال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: ٨].

فَكَمْ مِمَّنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَلَا يَزِيدُهُ ذَلِكَ إلَّا سُفُولًا وَكَمْ مِمَّنْ جُعِلَ مِنْ الْأَعْلَيْنَ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الْعُلُوَّ وَلَا الْفَسَادَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ إرَادَةَ الْعُلُوِّ عَلَى الْخَلْقِ ظُلْمٌ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَإِرَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَعْلَى وَنَظِيرُهُ تَحْتَهُ ظُلْمٌ وَمَعَ أَنَّهُ ظُلْمٌ فَالنَّاسُ يُبْغِضُونَ مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ وَيُعَادُونَهُ؛ لِأَنَّ الْعَادِلَ مِنْهُمْ لَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا لِنَظِيرِهِ وَغَيْرُ الْعَادِلِ مِنْهُمْ يُؤْثِرُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْقَاهِرُ ثُمَّ إنَّهُ مَعَ هَذَا لَا بُدَّ لَهُ فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ كَمَا قَدَّمْنَاهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ لَا يَصْلُحُ إلَّا بِرَأْسٍ.

**قَالَ الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [سورة الأنعام:١٦٥].

**وَقَالَ الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [سورة الزخرف:٣٢]. اهـ من "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٣٩٣).

**الشاهد من كلام شيخ الإسلام هم أصحاب الْقِسْمُ الثَّالِثُ الذين قال عنهم:**

**يُرِيدُونَ الْعُلُوَّ بِلَا فَسَادٍ كَالَّذِينَ عِنْدَهُمْ دِينٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلُوا بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ النَّاسِ.**

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالنُّفُوسُ مَشْحُونَةٌ بِحُبِّ الْعُلُوِّ، وَالرِّئَاسَةِ بِحَسَبِ إمْكَانِهَا، فَتَجِدُهُ يُوَالِي مَنْ يُوَافِقُهُ عَلَى هَوَاهُ، وَيُعَادِي مَنْ يُخَالِفُهُ فِي هَوَاهُ، وَإِنَّمَا مَعْبُودُهُ مَا يَهْوَاهُ وَيُرِيدُهُ، **قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان:٤٣].

**قلت:** وبعض الناس من شدة محبته للعلو يخاصم إخوانه، ويهجرهم من أجل أن يعلوا عليهم وهذه فتنة!.

**قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهي فتنة لما فيها من الشرف، والرئاسة حتى ربما كان طلبها مثل طلب الولايات، والإمارات الذي هو من إرادة العلو في الأرض، وهذا مضر بالدين، وقد روى **كعب بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه**». (١) قال الترمذي حديث حسن صحيح، ولأنه يخاف على صاحبها انتفاخه بذلك، واختياله، وأن يفتن باشتهاره، ولذلك صلى حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرة إماماً ثم قال: «**لتصلن وحدانا أو لتلتمسن لكم إماماً غيري، فإني لما أممتكم خيل إليَّ أنه ليس فيكم مثلي**»، وقيل لمحمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض المرات إلا تؤم

---

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٣٧٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ١٤٥).

أصحابك فقال: (**كرهت أن يتفرقوا، فيقولوا: أمنا محمد بن سيرين**)، ولأن الإمام يتحمل صلاة المأمومين الذي دل عليه حديث الضمان. اهـ من "شرح عمدة الفقه" (١/ ١٣٩).

**وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو، والفخر، والخيلاء، وطلب العلو، والرفعة في الدنيا، والمنافسة فيها، وطلب مباهاة العلماء، ومماراة السفهاء، وصرف، وجوه الناس إليه، وقد ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أن من طلب العلم لذلك، فالنار النار**» (١). اهـ من "فضل علم السلف على الخلف" (٨٠).

**وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واعلمْ أَن النَّفسَ تُحبُّ الرِّفعَةَ والعُلوَّ عَلَى أَبناءِ جنسِهَا، وَمن هُنا نشأَ الكِبرُ والحسدُ، ولكن العاقلَ يُنافسُ في العُلوِّ الدائم الباقي الَّذِي فيهِ رضوانُ الله وقُربُهُ وجِوارُهُ، ويَرغَبُ عن العُلوِّ الفاني الزَّائلِ، الَّذِي يعقُبُهُ غَضبُ الله وَسخطُه، وانحطاطُ العبدِ وسُفُولُه وبعدُهُ عَن الله وطردُهُ عنه، فهذا العُلوّ الفاني الَّذِي يُذَمُّ، وهو العتُوُّ والتكبرُ في الأرض بغيرِ الحَقِّ**). اهـ من "مجموع رسائله" (١/ ٨٩).

❊❊❊

(١) **رواه الترمذي** في "سننه" (٢٦٥٤)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ٢٦) من حديث **كعب بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

# من أمراض القلوب حب التصدر

قال العلامة النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الذي يتصدر للدين، والدعوة بدون علم يفسده أكثر مما يصلح)**. اهـ.

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **استقرت القاعدة الشرعية: (أن من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه)**.اهـ من "تفسيره" (١٦٨).

وقال العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(التصدر قبل التأهل: احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم، والعمل، وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه)**.اهـ من "حلية طالب العلم" (١٩٨).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا أيضًا مما يجب الحذر منه، أن يتصدر الإنسان قبل أن يكون أهل للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

**الأول: إعجابه بنفسه، حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام.**

**الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه، ومعرفته بالأمور، وإذا الناس رأوه متصدراً، أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.**

**الثالث: إنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم، لأن غالب من كان هذا قصده الغالب أنه لا يبالي أن يحطم العلم تحطيمًا، وأن يجيب عن كل ما سئل عنه.**

**الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق، لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره، وإن كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بأهل في العلم.** اهـ من "شرح حلية طالب العلم" (١٨٩).

***

# من أمراض القلوب حب السمعة، والشهرة، والظهور والمدح، والثناء، والادّعاء

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به**». رواه مسلم في "صحيحه" (٢٩٨٦).

وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يسمع يسمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**». متفق عليه. (خ٦٤٩٩-م٢٩٨٧).

**ويروى عن الحسن بن أحمد بن الله البناء المقرئ المحدث الحنبلي** رَحِمَهُ اللَّهُ **إنه قال:** هل ذكرني الخطيب في (**تاريخ بغداد**) في الثقات أو مع الكذابين؟ قيل: ما ذكرك أصلاً فقال: (**ليته ذكرني ولو مع الكذابين**). اهـ من "سير أعلام النبلاء" (١٨/ ٣٨١).

**وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وكان أعرابي يصلي، فأخذ قوم يمدحونه، ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته، وقال: مع هذا إني صائم!**). اهـ من "أخبار الحمقى والمغفلين" (١٢٦).

**وقال عبد الرحمن بن مهدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن طالوت رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: **(ما صدق الله عبد أحب الشهرة)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٣٩٣).

**وقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَحَبَّ أَنْ يُعْرَفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينُهُ، وَافْتَضَحَ)**. اهـ من "التواضع والخمول لابن أبي الدنيا" (١/ ٩٥).

**وقال ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واعلم: أن أكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس، وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضى الناس، رجاء المدح، وخوفًا من الذم، وذلك من المهلكات، فوجبت معالجته)**.اهـ من "مختصر القاصدين" (١/ ٢١٢).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد، النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب، والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص، فَأقبل على الطمع أَولاً فاذبحه بسكين الْيَأْس وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء، والمدح سهل عَلَيْك الْاخْلَاص)**.اهـ من "الفوائد" (١٤٩).

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَكَمْ مِنْ مُدَّعٍ لِلْمَشْيَخَةِ، وَفِيهِ نَقْصٌ مِنْ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ تَعَالَى)**. اهـ من "مجموع الفتاوى" (١١/ ٥١٣).

**وقال الخلال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَبَلَغَنِي أَنَّ **أَحْمَدَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ **لِسُفْيَانَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حُبُّ الرِّيَاسَةِ أَعْجَبُ إلَى الرَّجُلِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَنْ أَحَبَّ الرِّيَاسَةَ طَلَبَ عُيُوبَ النَّاسِ أَوْ عَابَ النَّاسَ)**.اهـ من "الآداب الشرعية" (٢/ ٢٤١).

**وقال الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من الأخلاق الأساسية التي يجب أن يتصف بها الداعية المسلم: التواضع، والبعد عن حب الظهور، والتفاخر، والادِّعاء، فإن هذه أدواء قاتلة، تجرد الساعي إليها، والحريص عليها من أهلية الدعوة وتفقده سلاحًا ماضيًا للنصر على أعدائها، وتجعل عمله هباء منثورًا، والعياذ بالله)**. اهـ من "التوسل" (٩١).

**وقال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر)**. اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٢/ ٤٣٢).

**وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا لَمْ أُشَاهِدْهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ كَثِيرًا: مَا لِي شَيْءٌ، وَلَا مِنِّي شَيْءٌ، وَلَا فِيَّ شَيْءٌ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

أَنَا الْمُكَدِّي وَابْنُ الْمُكَدِّي *** وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي

وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: (**وَاللهِ إِنِّي إِلَى الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا**). اهـ من "مدارج السالكين" (١/ ٥٢٠).

**وما أحسن ما جاء عن العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما طلب منه شاعر من الشعراء أن يلقي عليه قصيدة فيها مدح، وثناء على الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فرفض الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنكر عليه.

**قال الشاعر:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

**أما بعد:** فضيلة الشيخ: أستأذنكم في قصيدة أتلوها:

**يا أمتي! إن هذا الليل يعقبه فجر وأنواره في الأرض تنتشر**

**والخير مرتقبٌ، والفتح منتظر والحق رغم جهود الشر منتصر**

**وبصحبة بارك الباري مسيرتها نقية ما بها شوبٌ ولا كدر**

**ما دام فينا ابن صالح شيخ صحوتنا بمثله يرتجى التأييد والظفر**

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنا لا أوافق على هذا المدح؛ لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، كل شخص يأتي ويذهب، فإذا ربطنا الحق

بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد ييأس الناس من بعده، فأقول: إذا كان يمكنك الآن تبديل البيت الأخير بقول:

**ما دام منهاجنا نهج الأولى *** سلفوا بمثلها يرتجى التأييد والظفر**

فهذا طيب، أنا أنصحكم ألا تجعلوا الحق مربوطًا بالرجال: **أولاً**: لأنهم قد يضلون، فهذا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **(من كان مستنًا فليستن بمن مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)**.[1] الرجال إذا جعلتم الحق مربوطًا بهم يمكن الإنسان أن يغتر بنفسه والعياذ بالله من ذلك، ويسلك طرقًا غير صحيحة، فالرجل أولاً لا يأمن من الزلل والفتنة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم.

---

(١) **الأثر منقطع**: ولا شك في صحة معناه وقد اشتهر عند العلماء قديمًا وحديثًا: رواه الهروي في "ذم الكلام" (٧٤٦)، من طريق سلام بن مسكين به وسنيد ضعيف ولكنه قد توبع ويبقى الانقطاع فإن قتادة لم يسمع من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد ثبت بعضه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طرق أخرى وبالأخص الجملة الأولى منه.

وإليك هذا الأثر بنصه: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَبَرُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمْ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ). اهـ من "أعلام الموقعين" (٢/ ١٤١).

**ثانيًا:** أنه سيموت، ليس فينا أحد يبقى أبداً: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٣٤].

**ثالثًا:** أنه ربما يغتر إذا رأى الناس يبجلونه، ويكرمونه، ويلتفون حوله، وربما ظن أنه معصوم، ويدعي لنفسه العصمة، وأن كل شيء يفعله فهو حق، وكل طريق يسلكه فهو مشروع، ولا شك أنه يحصل بذلك هلاكه، ولهذا امتدح رجل رجلاً عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**ويحك قطعت عنق صاحبك**». (١) وأنا أشكر الأخ على ما يبديه من الشعور نحوي، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنه أو أكثر، ولكن لا أحب المديح. اهـ من "اللقاء المفتوح" (٤٧/ ٧).

**وقال عمرو** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(من قال إنه عالم فهو جاهل)**. اهـ من "بيان فضل علم السلف على الخلف" (٨).

**وقال الصحابي الجليل عتبة بن غزوان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا)**. **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٩٦٧).

**وقالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ»**. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٢٦٦١).

---

(١) **متفق عليه**. (خ ٦٠٦١-م٣٠٠٠) من حديث **أبي بكرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**وقال ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ**» وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلافَهُ، فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا. **رواه البخاري** في "صحيحه" (٤٧٥٣).

**وقال إِسْحَاقَ الْفَزَارِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُحِبُّ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَمَا يُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**). اهـ من "حلية الأولياء" (٨/ ٢٥٥).

***

# من أمراض القلوب العُجُب

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا شيء أفسد للأعمال من العُجُب ورؤية النفس)**.

اهـ من "الفوائد" (١٥٧).

**وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ: **«إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ، وَيَدْأَبُونَ يَعْنِي يُعْجِبُونَ النَّاسَ، وَتعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**. **رواه أحمد** في "مسنده" (١٢٩٧٢)، وهو في "الصحيح المسند" **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٧٧).

**الشاهد من الحديث قوله:** «وَتعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ». أي: أنهم يُعجبُون بأنفسهم، وأعمالهم، ويفتخرون بها فيخشى عليهم فساد أعمالهم بسبب هذا العجب.

**وعن أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكثر من ذلك، العُجُب العُجُب»**. **رواه الخرائطي** في "مساوئ الأخلاق" (٥٦٨)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٢/ ٧٤٠).

**وعن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**». **رواه البزار** في "مسنده" (٦٤٩١)، واللفظ له، والبيهقي، وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده، وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ١٠٨).

**وقال ابن عبدوس** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كلما توقر العالم وارتفع كان العُجُب إلى صاحبه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه، ونزع حب الرياسة عن نفسه)**. اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٥٦٦).

**وقال سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أخوف ما أخاف عليكم أن تهلكوا فيه ثلاث خلال: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)**. اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٥٦٨).

**وقال سعيد بن جبير** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وذلك أنه يعمل الحسنة، فتكون نصب عينه، ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينه، فيستغفر الله، ويتوب إليه منها)**. اهـ من "فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب" (١/ ١٨٦).

**وجاء عن ضمضم بن جوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال لي أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:** يا يمامي، لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً، قلت: يا أبا هريرة، إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه، وصاحبه إذا غضب قال: فلا تقلها، فإني سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كان في بني إسرائيل رجلان، كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخيين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب، فيقول: يا هذا، أقصر. فيقول: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيبًا؟**» قال: «**إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك، أقصر قال: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيبًا**»، قال: «**فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبداً قال أحدهما، قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما، واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت بي عالمًا، أكنت على ما في يدي قادراً، اذهبوا به إلى النار**». قال: فوالذي نفس أبي القاسم بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٨٩٢)، **وأبو داود** في "سننه" (٤٩٠١)، وسنده حسن، وهو في "الصحيح المسند" (٢/ ٣٣٣) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

**وقال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** آفة الشباب المسلم في العصر الحاضر هو أنهم لمجرد أن يشعروا بأنهم عرفوا شيئًا من العلم لم يكونوا من قبل على علم به

رفعوا رؤوسهم! وظنوا أنهم أحاطوا بكل شيء علماً! فتسلط عليهم الغرور والعُجب! ونخشى أن يشملهم قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه**». (١) اهـ من "سلسلة الهدى والنور" (٨٦١).

**وعن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه، إذ خسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**». **متفق عليه**.(خ٥٧٨٩-م٢٠٨٨).

**قلت:** وكم وجدنا والله من بعض طلاب العلم ممن قد أعجبوا بعلمهم، وذكائهم، وصاروا يتكلمون على منهم أعلم منهم كل ذلك بسبب العُجُبُ فعلى من كل هذا حاله أن يعرف قدره حتى وإن كان عنده ذكاء وعلم، فلا يتطاول على غيره، ولا يحتقر الآخرين الذي هم دونه في جانب العلم، إنما يجب عليه أن يعرف قدره.

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: (**على طالب العلم أن يكون متأدبًا بالتواضع، وعدم الإعجاب بالنفس، وأن يعرف قدر نفسه**).اهـ من "كتاب العلم" (٩٠).

---

(١) **رواه البزار** في "مسنده" (٦٤٩١)، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ١٢)، من حديث **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**وقال ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من امتحن بالعجب فليفكر فِي عيوبه فَإِن أعجب بفضائله فليفتش مَا فِيهِ من الْأَخْلَاق الدنيئة)**.اهـ من "الأخلاق والسير" (١/ ٦٦).

**وقال أنس بن مالك** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(لا عليكم أن لا تعجبوا لعمل رجل حتى تعلموا بما يختم له به، فقد يعمل الرجل برهة من دهره أو زمانًا من عمره عملاً سيئًا، لو مات عليه مات على شر، فيتحول إلى عمل صالح، فيختم له به، وقد يعمل العبد برهة من دهره أو زمانًا من عمره عملاً صالحًا، لو مات عليه مات على خير، فيتحول إلى عمل سيئ، فيختم له به)**. قال: وقد رفعه حميد مرة، ثم كف عنه. **رواه أحمد** في "مسنده" (١٣٣٣٣)، **وإسناده صحيح**.

**وقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظُرَ مَا يُخْتَمُ لَهُ، يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٣٨١٦)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (٤/ ٣٧٤).

**وقال فضالة بن عبيد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **(لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها)**؛ لأن الله يقول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧]. اهـ من "الاخلاص لأبن أبي الدنيا" (١/ ٩٤).

**وجاء عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال جاء سائل إلى ابن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال لابنه: أعطه ديناراً، فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه **(فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إليَّ من الموت أتدري ممن يتقبل إنما يتقبل الله من المتقين)**. اهـ من "صفة الصفوة" (١/ ٩١٢).

**وقال الليث ابن سعد** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب، والسنة)**. اهـ من "تفسيره" (١/ ٢٣٣).

***

# من أمراض القلوب الاختلاط بالنساء الأجنبيات

**عن عقبة بن عامر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله: أرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**». متفق عليه. (خ ٥٢٣٢- م٢١٧٢).

**قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا تحذير بالغ قالوا يا رسول الله أرأيت الحمو قال الحمو الموت الحمو يعني أقارب الزوج من أخيه عمه خاله هذا هو الحمو أما أبو الزوج وابن الزوج فهم من المحارم لكن حواشيه كأخيه وعمه وخاله فهؤلاء ليسوا من المحارم قال الحمو الموت وهذه كلمة من أبلغ ما يكون من التحذير يعني كما أن الإنسان يفر من الموت فيجب أن يفر من دخول أقاربه على زوجته وأهله بلا محرم وهذا يدل على التحذير الشديد ودخول أقارب الزوج على بيت الزوج أخطر من دخول الأجانب لأن هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد وإذا وقفوا عند الباب يستأذنون لم ينكر عليهم أحد لذلك كان حراماً على الإنسان أن يمكن أخاه من الخلوة

بزوجته وبعض الناس يتهاون في هذا الأمر تجد عنده زوجة وله أخ بالغ فيذهب الرجل إلى العمل ويترك زوجته وأخاه في البيت وحدهما، وهذا حرام لا يجوز لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولكن كيف الخلاص إذا كان البيت واحداً؟ يجب أن يجعل باباً بين محل الرجال ومحل النساء مغلقاً مفتاحه معه يأخذه معه ثم يقول لأخيه هذا محلك ويقول لأهله هذا محلك، ولا يجوز أن تبقى الأبواب مفتوحة لأنه قد يدخل عليها فيغويه الشيطان فيغتصبها، وربما يغرها حتى توافق، وتكون كأنها زوجة له يدخل عليها، ويخرج ولا يبالي نسأل الله العافية.

ومن الخلوة الخلوة بالسائق يعني الإنسان عنده سائق، وله امرأة أو بنت لا يحل له أن يجعل السائق مع المرأة أو البنت وحدها إلا مع ذي محرم لأن الخلوة في السيارة أقوى من الخلوة في البيت إذ أن الخلوة في السيارة يستطيع أن يتفاهم معها ثم يذهبان إلى أي مكان، ويفعل بها الفاحشة من الذي يمنعه؟ لهذا حرام على الإنسان أن يمكن أهله من زوجة أو أخت أو بنت من أن تركب، وحدها مع السائق، ولو بقدر خمس خطوات أبداً لا يجوز فإن قال قائل لو كانت امرأة تدرس، وأبوها مريض أو مشغول لا يتمكن، وهي لابد أن تدرس قلنا لا من يقول لابد أن تدرس الدراسة التي تستلزم الوقوع في المحرم

حرام يجب أن تبقى في بيتها، والدراسة الحمد لله لها الشباب الذكور فيهم خير، والمرأة إذا كان معها مبادئ تستطيع أن تراجع، وتنتسب أما أن تذهب مع السائق، وحدها فهذا حرام، ويخشى أن يكون الذي يمكن أهله من ذلك يخشى أن ينطبق عليه شيء من، وصف الديوث، وهو الذي يقر أهله على الفاحشة لكن هذا لم يقر أهله على الفاحشة إنما يخشى أن يكون ذلك، وسيلة والله الموفق. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٦/ ٣٦٧).

**وعنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامِي فِيكُمْ، فَقَالَ: «**اسْتَوْصوا بِأَصحَابِي خَيْرًا، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئ بِالشَّهَادَة قبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بَحْبَحَة الْجَنَّة فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَة ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَة ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**». **رواه أحمد** في "مسنده" (١١٤)، وحسنه **الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٧٩٢).

**الشاهد من الحديث قوله: «لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالهما».**

**وعن ابْنَ عَبَّاس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». متفق عليه.(خ١٨٦٢ -م١٣٤١).

**وعَنْ جَابِر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا مَحْرَمٍ». رواه مسلم في "صحيحه" (٢١٧١).

**قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعْنَاهُ لايبيتن رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ إِلَّا زَوْجُهَا أَوْ مَحْرَمٌ لَهَا قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّمَا خُصَّ الثَّيِّبُ لِكَوْنِهَا الَّتِي يُدْخَلُ إِلَيْهَا غَالِبًا وَأَمَّا الْبِكْرُ فَمَصُونَةٌ مُتَصَوِّنَةٌ فِي الْعَادَةِ مُجَانِبَةٌ لِلرِّجَالِ أَشَدَّ مُجَانَبَةٍ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذِكْرِهَا وَلِأَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّنْبِيهِ لِأَنَّهُ إِذَا نُهِيَ عَنِ الثَّيِّبِ الَّتِي يَتَسَاهَلُ النَّاسُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهَا فِي الْعَادَةِ فَالْبِكْرُ أَوْلَى وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ وَالْأَحَادِيثِ بَعْدَهُ تَحْرِيمُ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَإِبَاحَةُ الْخَلْوَةِ بِمَحَارِمِهَا وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ مُجْمَعٌ عَلَيْهِمَا). اهـ من "شرح مسلم" (١٤/ ١٥٣).

**وقال ميمون بن مهران** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثلاث لا تبلون نفسك بهن: لا تدخل على السلطان، وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تصغين بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امرأة، ولو قلت أعلمها كتاب الله». اهـ من "سير أعلام النبلاء" (٥/ ٧٧).

**وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار، والحطب)**. اهـ من "الاستقامة" (١/ ٣٦١).

**وقال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله: (اختلاط النساء بالرجال فيه تعويدهن على قلة الحياء)**. اهـ من "الكنز الثمين" (٣٢-١٤٦).

**وقال الإمام الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله أنا وبلغت الآن الرابع والسبعين من العمر أخشى على نفسي من فتنة النساء، فما بال غيري أنا من الشباب)**. اهـ من "الهدى والنور" (٣/٢١١).

**وقال أَبُو شِهَابٍ الْخَيَّاطُ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ: **ائْتَمِنِّي عَلَى بَيْتٍ مَمْلُوءٍ مَالا وَلا تَأْتَمِنِّي عَلَى جَارِيَةٍ سَوْدَاءَ لَا تَحِلُّ لِي**. اهـ من "ذم الهوى" (١/ ١٦٥).

**وقال سعيد بن المسيب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والله لو ائتمنت على كذا وكذا من الذهب لوجدت نفسي أمينا ولو ائتمنت على جارية سوداء لما وجدت نفسي أمينًا)**.

اهـ من "الحلية" (٢/ ١٦٦)، "الفواكه الجنية" (١٢٧).

**وقال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وروي عن علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال في خطبته: **بلغني أن نسائكم يزاحمن العلوج** [1] **في السوق، أما تغارون ألا أنه لا خير فيمن لا يغار)**. اهـ "شرح السنة" (٩/ ٢٧٠)، "المغني لا بن قدامة" (٧/ ٣٠١).

**وقال ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا خير فيمن لا يغار)**. اهـ من "المغني" (٧/ ٣٠١).

---

(١) أي: يزاحمن الرجال في الأسواق.

# لا يجتمع الإخلاص وحب المدح في قلب المسلم

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد، النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب، والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص، فَأقبل على الطمع أَولاً فاذبحه بسكين الْيَأْس وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء، والمدح سهل عَلَيْك الْاخْلَاص). اهـ

من "الفوائد" (١٤٩).

❊❊❊

# من أصلح سريرة قلبه أصلح اللّه علانيته

قال معقل بن عبيد الله الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه). اهـ من "الآداب الشرعية لابن مفلح" (١/ ١٣٦).

وقال الشاعر:

وإذا أظهرت شيئًا حسنًا *** فليكن أحسن منه ما تسرّ

فمسرّ الخير موسوم به *** ومسرّ الشّرّ موسوم بشرّ

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِذَا حَسُنَتْ السَّرَائِرُ أَصْلَحَ اللهُ الظَّوَاهِرَ). اهـ من "مجموع فتاواه" (٣/ ٢٧٧).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْمُؤْمِنُ إِذَا كَانَتْ سَرِيرَتُهُ صَحِيحَةً مَعَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ ظَاهِرَهُ لِلنَّاسِ). اهـ من "تفسيره" (٧/ ٣٦١).

***

# جثوم الشيطان على قلب ابن آدم إذا غفل عن ذكر الله تعالى

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي كف وأنقبض، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس). اهـ من "الوابل الصيب" (٣٧).

وقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٤].

قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهُ خَنَسَ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ). اهـ من "تفسيره" (٨/ ٥٤٠).

***

# دعا النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الفتى الذي طلب الزنا أن يطهر الله قلبه

**عَنْ أَبِي أُمَامَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّ غُلَامًا شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ: «مَهْ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَقِرُّوهُ ادْنُ**»، فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**» قَالَ: لَا. قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قَالَ: لَا قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ؟ أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قَالَ: لَا قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**». **رواه أحمد** في "مسنده" (٢٢٢١١)، وهو في "الصحيح المسند" (١/ ٤٢٣) **للإمام الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ.

**الشاهد من الحديث قوله:** «**اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**».

# خطر الإكثار من سماع القصائد على القلب

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه)**.اهـ من "اقضاء الصراط المستقيم" (٥٤٣).

**وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات وألتذ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات، فيستغني بسماع الشيطان عن سماع الرحمن)**. اهـ من "مجموع الفتاوى" (١١/ ٥٣٢).

***

# أثر الحسنة وأثر السيئة على القلب

**قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(أن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وان للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنـًا في البدن، ونقصـًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق)**.اهـ من "تفسير ابن رجب" (٢/ ١٣٥).

❊❊❊

# إماطة الأذى عن القلوب من أفضل الصدقات

إذا كان إماطة الأذى عن الطريق صدقة، فإن إماطة الأذى عن القلوب من أفضل الصدقات وأعظم القربات، فكم من كلمة جرحت قلبًا، وكم من موقف كسر نفسًا، وكم من إحسان أعاد إلى إنسانٍ طمأنينته وسروره، فاحرص ألا تُؤذي قلبًا بلسانك، ولا تكسر خاطرًا بتصرفك، فإن جبر القلوب عبادة، وإزالة الأذى عنها من أنبل الأخلاق وأعظم المعروف.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المهم أن إزالة الأذى عن الطريق، والطريق الحسي، طريق الأقدام، والطريق المعنوي، طريق القلوب، والعمل على إزالة الأذى عن هذا الطريق كله مما يقرب إلى الله، وإزالة الأذى عن طريق القلوب، والعمل الصالح أعظم أجراً، وأشد إلحاحًا من إزالة الأذى عن طريق الأقد).

اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ١٧٥).

***

# أيهما أشد مرض القلب أم مرض البدن

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأمراض الْقُلُوب أصعب من أمراض الأبدان لَأن غَايَة مرض الْبدن أن يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إلى الْمَوْت وَأما مرض الْقلب فيفضي بِصَاحِبِهِ إلى الشَّقَاء الأبدي وَلَا شِفَاء لهَذَا الْمَرَض إلا بِالْعلمِ وَلِهَذَا سمى الله تَعَالَى كِتَابه شِفَاء لأمراض الصُّدُور: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧].

وَلِهَذَا السَّبَب نِسْبَة **الْعلمَاء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ الى الْقُلُوب كنسبة الأطباء الى الأبدان وَمَا يُقَال للْعُلَمَاء أطباء الْقُلُوب فَهُوَ لقدر مَا جَامع بَينهمَا وإلا فالأمر أعظم فإن كثيراً من الأمم يستغنون عَن الأطباء وَلَا يُوجد الأطباء إلا فِي الْيَسِير من الْبِلَاد وَقد يعِيش الرجل عمره أَوْ بُرْهَة مِنْهُ لَا يحْتَاج إلى طَبِيب وأما الْعلمَاء بِالله وأمره فهم حَيَاة الْمَوْجُود وروحه وَلَا يسْتَغْنى عَنْهُم طرفَة عين فحاجة الْقلب إلى الْعلم لَيست كالحاجة إلى التنفس فِي الْهَوَاء بل أعظم وَبِالْجُمْلَةِ فالعلم

للقلب مثل المَاء للسمك إذا فَقده مَاتَ فنسبة الْعلم إلى الْقلب كنسبة ضوء الْعين إليها وكنسبة سمع الأذن وكنسبة كَلَام اللِّسَان إليه فَإِذا عَدمه كَانَ كَالْعَيْنِ العمياء والأذن الصماء وَاللِّسَان الأخرس وَلِهَذَا يصف سُبْحَانَهُ أهل الْجَهْل بالعمى والصم والبكم وَذَلِكَ صفة قُلُوبهم حَيْثُ فقدت الْعلم النافع فَبَقيت على عماها وصممها وبكمها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٢].

وَالْمرَاد عمى الْقلب فِي الدُّنْيَا وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [سورة الإسراء:٩٧].

لأنهم هَكَذَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَالْعَبْد يبْعَث على مَا مَاتَ عَلَيْهِ وَاخْتلف فِي هَذَا الْعَمى فِي الاخرة فَقيل هو عمى البصيرة بِدَلِيل أخباره تَعَالَى عَن رُؤْيَة الْكفَّار مَا فِي الْقِيَامَة ورؤية الْمَلَائِكَة ورؤية النَّار وَقيل هُوَ عمي الْبَصَر وَرجح هَذَا بَان الإطلاق ينْصَرف إليه وَبِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [سورة طه:١٢٥]، وَهَذَا عمي الْعين فان الْكَافِر لم يكن بَصيرًا بحجته). اهـ من "مفتاح دار السعادة" (١/ ١١١).

***

# مرض القلوب نوعان

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْمَرَضُ: نَوْعَانِ مَرَضُ الْقُلُوبِ، وَمَرَضُ الْأَبَدَانِ، وَهُمَا مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ.

وَمَرَضُ الْقُلُوبِ: نَوْعَانِ: مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَمَرَضُ شَهْوَةٍ وَغَيٍّ، وَكِلَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى فِي مَرَضِ الشُّبْهَةِ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [سورة البقرة: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [سورة المدثر: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَأَبَى وَأَعْرَضَ:

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة النور: ٤٨-٥١].

فهذا مرض الشبهات والشكوك.

**وأما مرض الشهوات:** فقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [سورة الأحزاب:٣٢]. فَهَذَا مَرَضُ شَهْوَةِ الزِّنَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.اهـ من "زاد المعاد" (٤/ ٥).

***

# خطر مرض الشبهات والشهوات على القلوب

قَالَ العلامة السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْقَلْبُ يَعْرِضُ لَهُ مَرَضَانِ يُخْرِجَانِهِ عَنْ صِحَّتِهِ وَاعْتِدَالِهِ: مَرَضُ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَمَرَضُ الشَّهَوَاتِ الْمُرْدِيَةِ؛ فَالْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالشُّكُوكُ وَالْبِدَعُ، كُلُّهَا مِنْ مَرَضِ الشُّبُهَاتِ، وَالزِّنَا، وَمَحَبَّةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي وَفِعْلِهَا، مِنْ مَرَضِ الشَّهَوَاتِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٢].

وَهِيَ شَهْوَةُ الزِّنَا، وَالْمُعَافَى مَنْ عُوفِيَ مِنْ هَذَيْنِ الْمَرَضَيْنِ، فَحَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ، وَالصَّبْرُ عَنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ؛ فَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ). اهـ من "تفسيره" (٤٢).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلوب هي المصائب، ولذلك نقول في دعاء القنوت: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا». (١)

(١) رواه الترمذي في "سننه" (٣٥٠٢)، وحسنه الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "صحيح الترمذي" (٣٥٠٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وأمراض القلوب تعود إلى شيئين:

**الأول:** أمراض الشهوات ومنشؤها الهوى، فإن الإنسان يعرف الحق لكن لا يريده، فله هوى مخالف لما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**الثاني:** أمراض الشبهات ومنشؤها الجهل، فإن الإنسان الجاهل يفعل الباطل ويظنه حق، وهذا مرض خطير.

فأنت تسأل الله العافية من أمراض الأبدان وأمراض القلوب التي هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

وعندما نقول أمراض الشهوات فلا تظن أننا نزيد أمراض الشهوة الجنسية – وهي شهوة النكاح – ولكننا نريد كل ما يريده الإنسان مما يخالف الحق، فإنها شهوة – بمعنى: إرادة: اشتهى أن يبتدع في دين الله أو اشتهى أن يحرف نصوص الكتاب والسنة لهواه، أو اشتهى أن يسرق، أو أن يشرب الخمر، أو يزني، وما أشبه ذلك». اهـ من "مجموع فتاواه" (١٤/ ١٤٨).

***

# التحذير من الطعن في نيات الآخرين

**إياك ثم إياك:** والطعن في قلوب الآخرين واتهامهم بما ليس فيهم إذا رأيتهم ينشرون الخير ويخدمون الإسلام والمسلمين أنهم يحبون الشهرة أو الظهور أو أنهم يراءون في أعمالهم أو في أقوالهم، أو في أفعالهم، أو في عباداتهم، فإنك على خطر عظيم فلا تحكم على ما في قلوبهم، ولست موكلاً بذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**». (١)

**وقال مكحول** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**رَأَيْتُ رَجُلًا يُصَلِّي، وَكُلَّمَا رَكَعَ وَسَجَدَ بَكَى، فَاتَّهَمْتُهُ أَنَّهُ يُرَائِي بِبُكَائِهِ، فَحُرِمْتُ الْبُكَاءَ سَنَةً**». اهـ من "حلية الأولياء" (٥/ ١٨٤).

**وقال سفيان الثوري** رَحِمَهُ اللَّهُ: **(حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل: ما هو؟ قال رأيت رجلاً يبكي فقلت هذا مرائي)**. اهـ من "حلية الأولياء" (٧/ ١٧).

**قلت:** والأصل أن الإنسان لا يحكم إلا على الظاهر على ما ظهر له من هذا الإنسان أما باطنه فأمره إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المطلع عليه، وهو الذي

---

(١) **متفق عليه**. (خ ٤٣٥١ - م ١٠٦٤)، من حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يحاسبه وكفى بالله حسيبا، فإياك أن يحملك المرض أو الحسد على الطعن في نيات الآخرين فبعض الناس ممن لا يخاف من الله، يحمله الحسد والمرض على الطعن، واللمز، والهمز في نيات الآخرين الذين فتح الله عليهم من أبواب الخير، والعلم، والدعوة، والتأليف، وخدمة الإسلام والمسلمين، فجزى الله خيراً من أعان على خدمة الإسلام ولو بشطر كلمة. **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجزى الله من أعان الاسلام ولو بشطر كلمة خيراً)**.اهـ من "إعلام الموقعين" (٤/ ٢١٧).

**وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين)**.اهـ من "القول السديد شرح كتاب التوحيد" (٣٦).

**وما أحسن ما قال أبو الأسود الدؤلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

**حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه *** فالناس أعداء له وخصوم** [1]

**قال الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في "صحيحه" (٢٦٤١)، حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُتْبَةَ، قَالَ: **سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ**

(١) اهـ من "جامع بيان العلم وفضله" (١١١٣).

انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ».

❊❊❊

# التقوى والفجور في القلب

وبهذا كان الأصل في التقوى والفجور القلب قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، ولو كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا**». **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٧٧).

**قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(وفي هذا دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا بر القلب واتقى، برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التقوى ها هنا**» **وأشار إلى صدره. رواه مسلم** [1].اهـ من "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٤٧).

***

(١) **رواه مسلم** في "صحيحه" (٢٥٦٤) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

# محل العقل في القلب

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج:٤٦].

**الشاهد من الآية قوله:** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾.

**وفي قوله:** «**التقوى ها هنا**» وإشارته على صدره دليلٌ على أن العقل في القلب الذي في الصدر، وهذا هو المطابق للقرآن تمامًا، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج:٤٦].

فقال: ﴿قُلُوبٌ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ ثم قال: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾

وليس القلب هو المخ كما يظنه بعض الجهال، فالعقل في القلب، ولكن المخ لا شك أن له أثراً في أعمال العبد، في حركاته، وفي سكناته، لكنهم قالوا: إن المخ مثل الخادم، يهيئ الأشياء ويطبخها، ثم يبعث بها إلى القلب، ثم يصدر القلب الأوامر على المخ من أجل أن المخ يدبر الأعصاب وبقية الجسم، فيكون هذا المخ خادماً للقلب عند تصدير الأشياء إليه واستصدارها منه فالأشياء تمر من القلب ذاهبة وآتيه إلى المخ، والمخ هو الذي يحرك البدن، ولذلك إذا اختل المخ اختل كل شيء. اهـ من "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٧٣).

**وعَنْ عِيَاضِ بْنِ خَلِيفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنْ عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ بِصِفِّينَ يَقُولُ: **«إِنَّ الْعَقْلَ فِي الْقَلْبِ، وَالرَّحْمَةَ فِي الْكَبِدِ، وَالرَّأْفَةَ فِي الطِّحَالِ، وَالنَّفَسَ فِي الرئة»**. رواه لبخاري في "الأدب المفرد" (٢٥٠).

**وعن النعمان بن بشير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»**. متفق عليه.(خ ٥٢ -م ١٥٩٩).

**قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاحْتُجَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ فِي الْقَلْبِ لَا فِي الرَّأْسِ).** اهـ من "شرح مسلم" (١١/ ٢٨).

**وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهل في هذا دليل على أن العقل في القلب؟**

**والجواب: نعم، فيه إشارة إلى أن العقل في القلب، وأن المدبر هو القلب مع أن القرآن شاهد بهذا.**

**قال الله تعالى:** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج:٤٦].

**ولكن كيف تعلقه بالقلب؟**

**الجواب: هذا شيء لا يُعلم، إنما نحن نؤمن بأن العقل في القلب كما جاء في القرآن، لكننا لا نعلم كيف ارتباطه به، فلا يرد علينا لو رُكِب قلب كافر برجل مسلم، أيكون هذا المسلم كافراً أولاً، لأننا لا ندري كيف تعلق العقل بالقلب والله أعلم.** اهـ من "شرح الأربعين النووية" (١٠٨).

***

# شكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان والجوارح

**قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشكر يتعلق بهذه الأشياء الثلاثة: القلب، واللسان، والجوارح:**

**أما القلب:** فأن يوقن الإنسان بأن هذه النعمة من الله ـ عز وجل ـ تفضل بها.

**وأما اللسان:** فأن يثني بها على الله، فيقول: الحمد الله الذي سقانا، وما أشبه ذلك من الكلمات.

**وأما الجوارح:** فأن يقوم بطاعة الله سبحانه وتعالى بفعل أوامره، وترك نواهيه.

**ولهذا قال الشاعر:**

**أفادتكم النعماء مني ثلاثةً *** يدي ولساني والضمير المحجبا** [1]

***

(١) اهـ من "الشرح الممتع" (٥/ ٢٢٢).

# الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اعْمَلُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الَّذِيَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالِ كَانَ مُؤْمِنًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ). اهـ من "الشريعة" (٦١١).

***

# بيان حال حديث: الإسلام علانية والإيمان في القلب

**حديث:** «الإسلام علانية، والإيمان في القلب». حديث منكر لا يصح.

**قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** منكر.

أخرجه ابن أبي شيبة في رسالة " الإيمان " (٥/ ٦ - بتحقيقي)، وفي " المصنف " (١/ ١ ١/ ٣٦٨ ١)، وعنه أبو يعلى (٥/ ١ ٣ ٠ - ٢ ٣ ٠)، وأحمد (٣/ ١٣٤ - ١٣٥)، والبزار (١/ ١٩/ ٢٠ - كشف الأستار)، والعقيلي في " الضعفاء " (٣/ ٢٥٠)، وابن حبان في " الضعفاء " (٢/ ١١١)، وابن عدي في " الكامل " (٥/ ٢٠٧)، كلهم من طريق علي بن مسعدة: ثنا قتادة عن أنس مرفوعاً. وقال البزار: "تفرد به علي بن مسعدة". قلت: قال البخاري في " التاريخ " (٣/ ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥). "فيه نظر".اهـ من "السلسلة الضعيفة" (١٤/ ٩٤٤).

***

# بطلان مقولة الإيمان في القلب

**قال العلامة ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإيمان أصله في القلب، مثلما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره**». (١) يعني في القلب، وإذا صلح القلب صلح الجسد، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله**». (٢) هذا صحيح متى صلح القلب وعمره الله بالتقوى، والخشية لله استقام البدن، استقامت الجوارح، في طاعة الله، ومتى خبث القلب بالنفاق والكفر والضلال خبثت الجوارح، وانقادت له، فالأساس هو القلب، متى أصلحه الله وعمره بالتقوى انقادت الجوارح لطاعة الله، ورسوله والكف عن محارم الله، ومتى خبث القلب بالكفر والنفاق والفجور واتباع الهوى، انقادت الجوارح لأعماله السيئة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اهـ من "فتاوى نور على الدرب" (٤/ ٢٠٧).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال العلامة عبد العزيز الراجحي حفظه الله: (إذا كان الإيمان في القلب انعكس هذا على الجوارح ونقول أيضًا الكفر في القلب والنفاق في القلب، الإيمان في القلب والكفر في القلب، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح عندنا علاقة فإذا كان في قلبك إيمان لا بد أن تنقاد الجوارح كلها تصلي تصوم تؤدي الفرائض تنتهي عن المحرمات، فإذا لم تعمل بالمرة مطلقا فتكفر هذا كفر وردة ما يكفي الإيمان في القلب.

أما إذا كان يعمل ولكن يفعل بعض المحرمات نقول هذا إيمانه ضعيف دليل على أن الإيمان الذي في قلبك ضعيف، الدليل كونك تزني كونك تسرق كونك ترابي هذا؛ لأن إيمانك ضعيف، أما إذا كان يقول: الإيمان في القلب ولكن لا يصلي ولا يصوم ولا يعمل شيء من الأعمال، نقول: هذا غير منقاد، إيمانك كإيمان فرعون وإيمان إبليس ما في فرق بين إيمانك وإيمان إبليس وفرعون إبليس مصدق، وفرعون مصدق ما يعملوا وأنت لا تعمل، هذا دليل على أنه ليس في قلبك إيمان، لو كان في قلبك إيمان انقادت الجوارح بالعمل، أما إذا كانت الجوارح تعمل لكن يفعل بعض المحرمات ويترك بعض الواجبات نقول هذا دليل على أن إيمانك ضعيف نعم). اهـ من "شرح الطحاوية" (٣٨٠).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَأَصْلُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ وَهُوَ إقْرَارٌ بِالتَّصْدِيقِ وَالْحُبِّ وَالِانْقِيَادِ وَمَا كَانَ فِي الْقَلْبِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ مُوجِبُهُ وَمُقْتَضَاهُ عَلَى الْجَوَارِحِ). اهـ من "مجموع فتاواه" (٧/ ٦٤٤).

***

# نصيحة لكل مسلم ومسلمة

**قال أبو عبد الرحمن نورالدين الحبيشي وفقه الله**

أنصح نفسي وإخواني أن نهتم بصلاح قلوبنا وجوارحنا وأعضائنا غاية الاهتمام فإن صلاح القلب صلاح الجوارح والأعضاء وفساد القلب فساد الجوارح والأعضاء فاتهم أيها المسلم بصلاح قلبك دائماً وعلاجه إذا حرص له مرض من الأمراض التي تعتريه بين الفينة والأخرى فإن سلامة القلب لا يعديها شيء فعلى المسلم إذا أراد السلامة لقلبه أن يتفقده وأن يبتعد عن الأشياء التي تمرضه وتجعله قاسياً.

فأسأل الله أن يصلح قلوبنا وأن يُذهب عنها الغفلة والقسوة إنه جواد كريم.

**نهاية الكتاب**

**كان الإبتداء بهذا العمل بتاريخ، (١٨ من شهر ذي الحجة / ١٢ / ١٤٤٧هـ**

**وكان الإنتهاء منه بتاريخ (١١من شهر محرم / ١/ ١٤٤٨هـ.**

**والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**

***

# الفهرس

..... ٥

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الله فيصل الحاشدي ..... ٦

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي اليمان عدنان المصقري ..... ٨

مقدمة فضيلة الشيخ: أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي ..... ١٠

محتوى هذا الكتاب..... ٢٥

مقدمة المؤلف..... ٣٠

كلمة شكر..... ٣٢

سبب تأليف هذا الكتاب..... ٣٦

لماذا سمي القلب بهذا الاسم..... ٣٨

صلاح القلب سبب لصلاح الجوارح..... ٣٩

القلب محل نظر الله تعالى..... ٤٤

قلب النبي صلى الله عليه وسلم خير القلوب ثم قلوب الصحابة رضي الله عنهم ..... ٤٨

سمى الله القرآن وحيا لأن القلوب تحيا به ..... ٤٩

هل تتدبر القرآن أم أن قلبك أصبح مقفلا عن التدبر ..... ٥١

حديث: إنما الأعمال بالنيات: عمدة أعمال القلوب ..... ٥٣

الشجاعة شجاعة القلب وليس شجاعة البدن ..... ٥٥

عرض الفتن على القلوب ..... ٥٦

تأثير الذنوب على القلوب..... ٥٧

تأثر قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى ..... ٦٢

لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان..... ٦٣

ادع الله أن يرزقك قلبا سليما..... ٦٤

ادع الله أن يطهر قلبك من الاحقاد..... ٦٥

ادع الله أن يقيك شر قلبك ..... ٦٦

ادع الله أن يجعل في قلبك نورا..... ٦٨
ادع الله أن يقبل بقلوب العباد إلى الله..... ٧٠
ادع الله أن ينقي قلبك من الخطايا..... ٧١
ادع الله أن يجدد الإيمان في قلبك ويزين قلبك به..... ٧٢
أفضل الناس من طهر قلبه من الحسد وسلم من ذلك ..... ٧٣
اطلب قلبك في ثلاثة مواطن..... ٧٥
صفة القلب السليم ..... ٨٣
القلب الحي يتأثر بالمواعظ بخلاف القلب الميت ..... ٨٨
أنواع القلوب..... ٨٩
مفسدات القلب ..... ٩١
فَصْلٌ الْمُفْسِدُ الثَّانِي مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ رُكُوبُهُ بَحْرَ التَّمَنِّي: ..... ٩٦
فَصْلٌ: الْمُفْسِدُ الثَّالِثُ مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ التَّعَلُّقُ بِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ تَعَالَىٰ: ٩٧
فَصْلٌ: الْمُفْسِدُ الرَّابِعُ مِنْ مُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ الطَّعَامُ: ..... ٩٩
فَصْلٌ الْمُفْسِدُ الْخَامِسُ كَثْرَةُ النَّوْمِ:..... ١٠٠

ادع الله أن يثبت قلبي على دينه ..... ١٠٢
احذر أن تزيغ عن الحق فيزيغ قلبك ..... ١٠٣
لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب المؤمن ..... ١٠٤
نعوذ الله من تقلب القلوب..... ١٠٥
لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى ..... ١٠٦
خطر مجالسة أهل البدع، والأهواء على القلوب ..... ١٠٧
كثرت الضحك تميت القلب..... ١١٠
القلب لا يطمئن إلا بذكر الله تعالى..... ١١٢
هنيئا لمن علق قلبه بالمساجد..... ١١٤
الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب..... ١١٧
من تفرغ لعبادة الله ملأ الله قلبه غنى وملأ يديه رزقا..... ١١٩
تأثر القلوب بالموعظة ..... ١٢١
العلماء أطيب الناس قلوبا وعيشا ..... ١٢٣
أهمية اطمئنان القلب ..... ١٢٦

أعظم العقوبات قسوة القلب..... ١٢٨

نعوذ بالله من قسوة القلوب..... ١٣٢

علاج قسوة القلوب..... ١٣٦

من أسباب علاج قسوة القلب التداوي بالقرآن الكريم:..... ١٣٦

من أسباب علاج قسوة القلب أداء الصلاة:..... ١٤٣

من أسباب علاج قسوة القلب الصوم:..... ١٤٤

من أسباب علاج قسوة القلب إطعام المسكين ومسح رأس اليتيم: .. ١٤٦

من أسباب علاج قسوة القلب الإخلاص لله تعالىٰ:..... ١٤٦

**من أسباب علاج قسوة القلب الدعاء:**..... ١٤٦

من أسباب علاج قسوة القلب الدعاء بأدعية تفريج الهموم والكروب:
..... ١٥٣

من أسباب علاج القلب غض البصر عن الحرام:..... ١٥٦

من أسباب علاج ضيق القلب التسبيح والسجود لله تعالىٰ: ..... ١٦١

من أساب علاج قسوة القلب الاستجابة لله ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم:
..... ١٦٢

من أسباب علاج قسوة القلب تذكر القبر: ..... ١٦٣

أسباب قسوة القلوب ..... ١٦٤

من أسباب قسوة القلب الغفلة عن ذكر الله تعالىٰ: ..... ١٦٤

من أسباب قسوة القلب الاعراض عن ذكر الله تعالىٰ:..... ١٦٥

من أسباب قسوة القلب ترك صلاة الجمعة تهاونـًا بها: ..... ١٦٨

من أسباب قسوة القلب عدم رحمة البشر:..... ١٦٩

من أسباب قسوة القلب هجر قراءة القرآن: ..... ١٧٠

من أسباب قسوة القلب سماع الأغاني والمزامير:..... ١٧٢

من أسباب قسوة القلب النظر إلىٰ الحرام:..... ١٧٦

من أسباب قسوة القلب الذنوب والمعاصي: ..... ١٨٠

من أسباب قسوة القلب النظر إلىٰ المردان ومجالستهم: ..... ١٨٢

من أسباب قسوة القلب النميمة:..... ١٨٥

**ما ينبغي لمن حُمِلت إليه النميمة:** ..... ١٩١

من أسباب قسوة القلب الغيبة: ..... ١٩٢

**سؤال: قد يقول قائل ما هي الحكمة من النهي عن الغيبة وما مناسبة ذلك؟** ..... ١٩٣

**سؤال: هل الغيبة محرمة مطلقاً؟** ..... ١٩٤

**سؤال: ما هي الكيفية الصحيحة للتحلُّل من الغيبة؟** ..... ٢٠٠

**سؤال: ما صحة قول القائل: لا غيبة لفاسق؟** ..... ٢٠٥

**سؤال: ما هي الطريقة الصحيحة للتخلُّصِ من الغيبة؟** ..... ٢٠٧

من أسباب قسوة القلوب مصافحة الرجال للنساء، والنساء للرجال الأجانب في البيوت وفي المناسبات: كالأعياد، والأعراس، وغير ذلك اعتقاداً منهم أنهم قد صاروا إخوة، وقلوبهم نظيفة، وهذا منكرٌ عظيم جداً: ..... ٢٠٧

**سؤال: من هي المرأة الأجنبية التي لا يجوز مصافحتها؟** ..... ٢٠٩

**سؤال: قد يقول قائل كيف تقولون إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لم يكن يصافح النساء ونهىٰ عن ذلك، وقد كانت الأمة () من إماء المدينة تأخذ بيده، وتذهب به إلىٰ المدينة ليقضي غرضها، فكيف يحمل ذلك؟** ..... ٢٠٩

**سؤال: ما حكم قول بعض الناس عندما يصافح النساء الأجانب، أنا قلبي نظيف؟** ..... ٢١٠

**سؤال: هل يجوز مصافحة العجائز وهل ثبت أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان يصافح العجائز؟**..... ٢١١

لا يجتمع حب القرآن وحب الغناء في قلب مسلم ..... ٢١٢

من أمراض القلوب الرياء..... ٢١٥

من أمراض القلوب الحسد..... ٢٣١

**ومما يستثنىٰ من الحسد:**..... ٢٦٣

من أمراض القلوب الحقد..... ٢٧٢

من أمراض القلوب الكبر..... ٢٧٣

من أمراض القلوب حب العلو..... ٢٨١

من أمراض القلوب حب التصدر ..... ٢٨٦

من أمراض القلوب حب السمعة، والشهرة، والظهور والمدح، والثناء، والادِّعاء..... ٢٨٨

من أمراض القلوب العُجُب..... ٢٩٥

من أمراض القلوب الاختلاط بالنساء الأجنبيات..... ٣٠١

لا يجتمع الإخلاص وحب المدح في قلب المسلم..... ٣٠٦
من أصلح سريرة قلبه أصلح الله علانيته..... ٣٠٧
جثوم الشيطان على قلب ابن آدم إذا غفل عن ذكر الله تعالى ..... ٣٠٨
دعا النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الفتى الذي طلب الزنا أن يطهر الله قلبه..... ٣٠٩
خطر الإكثار من سماع القصائد على القلب..... ٣١٠
أثر الحسنة وأثر السيئة على القلب..... ٣١١
إماطة الأذى عن القلوب من أفضل الصدقات..... ٣١٢
أيهما أشد مرض القلب أم مرض البدن..... ٣١٣
مرض القلوب نوعان ..... ٣١٥
خطر مرض الشبهات والشهوات على القلوب..... ٣١٧
التحذير من الطعن في نيات الآخرين ..... ٣١٩
التقوى والفجور في القلب ..... ٣٢٢
محل العقل في القلب..... ٣٢٣

شكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان والجوارح ..... ٣٢٦

الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح ..... ٣٢٧

بيان حال حديث: الإسلام علانية والإيمان في القلب ..... ٣٢٨

بطلان مقولة الإيمان في القلب ..... ٣٢٩

نصيحة لكل مسلم ومسلمة ..... ٣٣٢

الفهرس ..... ٣٣٣

مؤلفات: نور الدين الحبيشي ..... ٣٤٣

# مؤلفات: نور الدين الحبيشي

(١) كتاب: أحكامُ البيوت «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة).

(٢) كتاب: مفاسدُ في طريق الداعية إلى الله وعلاجها «جاهز مطبوع». (٢٦٠صفحة).

(٣) كتاب: الحكمةُ في بيان الأحكام الشرعية «جاهز مطبوع». (٥٠٠ صفحة).

(٤) كتاب: الهمةُ العالية في جوانب مختلفة «جاهز مطبوع». (٤٣٠صفحة).

(٥) كتاب: الحسدُ أقسامه مفاسده علاماته علاجه «جاهز مطبوع». (٣٣٠ صفحة).

(٦) كتاب: النيةُ فضائل وأحكام «جاهز مطبوع». (٣٠٠ صفحة).

(٧) كتاب: صلاةُ النوافل فضل وأحكام «جاهز مطبوع». (٦٢٠ صفحة).

(٨) كتاب: حليةُ المريض آدابٌ وفوائدُ وأحكام «جاهز مطبوع». (٥٠٠ صفحة).

(٩) كتاب: التلبيةُ لأحكام ومسائل الأضحية «جاهز مطبوع». (٢٠٠صفحة).

(١٠) كتاب: المحجةُ في فضائل وأحكام عشر ذي الحجة «جاهز مطبوع». (١٤٠ صفحة).

(١١) كتاب: البناتُ رياحين البيوت «جاهر مطبوع». (٢٨٠ صفحة).

(١٢) كتاب: السلامةُ من أذى الخلق «جاهز مطبوع». (٣٨٠ صفحة).

(١٣) كتاب: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم «تحت التجهيز» (٢٥٠ صفحة).

(١٤) كتاب: المعاملةُ الحسنة «جاهز مطبوع». (٢٨٠ صفحة).

(١٥) كتاب: أعمالٌ يسيرةٌ وأجورٌ عظيمة «جاهز مطبوع». (٤١٠ صفحة).

(١٦) كتاب: الجزاء من جنس العمل «جاهز مطبوع». (٤٦٠صفحة).

(١٧) كتاب: العجلة حقيقتُها وآفاتُها ودواؤُها «تحت التجهيز». (١٥٠صفحة).

(١٨) كتاب: اعرف عدُوك «جاهز مطبوع». (٣٣٠صفحة).

(١٩) كتاب: حلية المسلم «تحت التجهيز» (٢٠٠ صفحة).

(٢٠) كتاب: الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء «تحت التجهيز» (٢٠٠ صفحة).

(٢١) كتاب: المواساة خلق النبلاء عند الشدائد «جاهز مطبوع» (٢٨٠ صفحة).

(٢٢) كتاب: الأذان فضائل وأحكام «تحت التجهيز» (٢٠٠ صفحة).

(٢٣) كتاب: أمراض القلوب وعلاجها «جاهز» (٣٥٠ صفحة).

(٣٣) كتاب: الهمة في طلب العلم «جاهز مطبوع» (١٧٠ صفحة).

وهناك مؤلفات أخرى للمؤلف تحت التجهيز بإذن الله تعالى

***

أبو عبد الله الأثري
+967 782 869 184

سلسلة مؤلفات أبي عبد الرحمن نور الدين الحبيشي «٢٣»

# أمراض القلوب وعلاجها

تأليف أبي عبد الرحمن

نور الدين بن أحمد بن قايد الحبيشي

تقديم أصحاب الفضيلة

فضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن ردمان الحبيشي

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله فيصل الحاشدي

فضيلة الشيخ

أبي اليمان عدنان المصقري